

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد ـ القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٣٧ ـ الخميس ١٢ رجب ١٣٨٣ هـ ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٦٣ م ـ السنة الحادية والعشرون

الفهرس

وأخيرًا وجَدَ العِراقُ الطريق

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان العراق أيام كان حكامه ناسا كالناس وعربا كالعرب مظهرا للقومية العربية ، ومصدرا للقوة الاسلامية ؛ ومجمعا للقيادة الروحية والثقافية والحضارية للشرق والغرب . فنى في وجوده العارم الخصب كل جنس فلم يبق متميزا غير العرب ، وكل دين فلم يبق ظاهرا غير الاسلام ؛ وكل لسان فلم يبق حيا غير العربية ، وكل سلطان فلم يبق قاهرا غير الخلافة .

ثم كان الفلك يومئذ يدور عربيا على ملكوت محمد من شرقي آسيا الى غربي أوربا ؛ فتشرق شمس الحياة والمعرفة من أفق الرشيد في بغداد لتلقى أضواءها الهادية على ملك العزيز بالله في القاهرة ، ثم ترسل من هناك أشعتها المحيية على سماء الناصر في قرطبة، ومن هذه الخلافات الثلاث التى انبثقت من العراق في القارات الثلاث ظهرت كلمة الله وبهرت حقيقة العلم وازدهرت مدنية الانسان واتسعت دنيا العرب. كذلك كان العراق أيام كان من خلفائه هرون والمأمون، ومن وزرائه الفضل وجعفر ؛ ومن فقهائه أبو حنيفة وأبو يوسف ؛ ومن أدبائه الاصمعى وأبو عبيدة ، ومن شعرائه بشار وابن الرومي ؛ ومن متصوفيه البصرى وابن سيرين . فلما غربت الشمس وجزر المد ووهن السلطان واستعجم اللسان وجفت مشارع الرافدين فنقت فوقها الضفادع وسعت حولها الافاعي، آل السلطان به الى الانجليز والبترول، وانتقل الحكم فيه الى عبدالاله ونورى. ثم استوخم الامر واستفحل

الشر فآل بعدهما الى قاسم والمهداوي . ومنذ يومئذ غامت سماء العراق بركام من السحائب الجون لا تحمل الماء ولكن تحمل الدم . ولا ترسل الغيث ولكن ترسل السم . وتحت رعودها القاصفة ، وبروقها الخاطفة تنساب فى الظلام الداجي زمر من شياطين الانس يمجون الكفر ويشيعون الفحش وينشرون الارهاب ويلحون على المؤمنين الآمنين بالقتل والسحل والتعذيب ليخرجوهم من الاسلامية الى الشيوعية ! ومن العربية الى الشعوبية ! ومن شعب له كون بارز فى الوطن العربى الاكبر الى مجتمع من أخلاط لا يجمع بينها لسان ولا مجد ولا تاريخ !

كانت ثورة الرابع عشر من شهر تموز التى قام بها العربى المؤمن عبد السلام عارف ورفاقه الأبرار الأحرار هى النار التى أحرقت الطغيان وأضاءت الطريق وطهرت الأرض وحررت الشعب ولكن ارادة الله قضت ان يكابد العراق مزيدا من المحنة والتمحيص فلم تكد الثورة تحاول تعويض ما فقد واصلاح ما فسد وجمع ما شت حتى قامت الشيوعية المحلية فانبعث عبد الاله فى عبد الكريم ، وحلت روح نورى فى جسد فاضل ! وآزرتهما عناصر الشر جمعاء ! فاطفأوا الثورة بدماء من شبوها من الضباط الأحرار وفجعوا الوطن العربى كله فى صفوة من بنيه الأطهار ، واغلقوا بيوت الموصل وكركوك وبغداد على أيامى ويتامى وعجزة ! قتلوا عائليهم او اعتقلوا أهاليهم وتركوهم للدموع والجوع والقلق والخوف كالاغصان الأماليد والأزهار النواضر اجتثت أصولها من فوق الارض فما لها من قرار .

سرق هذه الثورة طاغية من الطراز الادنى مسه جنون العظمة وغرور السلطان ففعل بالعراق ما لم يفعله من قبله الحجاج والقرامطة والزنج والتتار والترك والانجليز ، فجعل الابن يعق أباه والاخ يقتل أخاه والمسلم يكفر بربه والعربى يبغى على قومه وبعض الناس يصيحون فى شارع (الرشيد) وفى ساحة (المأمون) : لا اسلام ولا عروبة !

جزع عبدالسلام عارف مرة أخرى على ثورته وأمته وعروبته وعقيدته فجمع أمره وهو يعانى وحشة المعتقل وقسوة المعاملة وثار على الطاغية الصغير كما ثار على الطاغية الكبير ، ونفذ قضاء الله فيه . وكان اليوم الرابع عشر من رمضان تصحيحا لليوم الرابع عشر من تموز انجاب فيه الضباب واستبان الطريق وانتعش الامل وأسفر العراق الحر عن وجهه العربى المحمدى . وفكر الرئيس عارف أول ما فكر فى الوحدة التى انكرها قاسم العراق وفصمتها رجعية سورية فاتصل بالقاهرة ودمشق ، وتلاقى الاخوة وجها لوجه ولسانا للسان وقلبا لقلب فى مجلس أخيهم الاكبر الرئيس جمال عبد الناصر ، وفى أيديهم أعلام العباسية والفاطمية والاموية مصورة فى علم واحد ذى ثلاثة ألوان وثلاث نجوم ! وتذاكروا أمانى الاخوة وتمثلوا رغائب الامة وتناشدوا أغانى الوحدة وتساقوا كؤوس المودة مترعة من كوثر النيل ورحيق بردى وسلافة دجلة ، وصاغوا كل أولئك فى ميثاق عربى جمع الاقطار الثلاثة فى اتحاد عام يوحد فيه الاسم والرئيس والعلم والجيش والدستور والتعليم والاقتصاد والخطة والغاية فلا يبقى وراء ذلك كله الا شئون محلية يختص بها اقليم دون اقليم ، ويختلف فيها قطر عن قطر .

ابتهج العرب بميثاق الوحدة الثلاثية واعتقدوا انه الأساس المتين لقيام الجمهورية العربية المتحدة بنجومها الثلاث عشرة متى زالت الحوائل العارضة التى تحول بين الفرع وأصله ، وتفصل بين الجزء وكله .

ولكن ارادة الله قضت ان يكابد العراق والعروبة مزيدا من المحنة والتمحيص ، فابتلى الله الوحدة والميثاق بطاغية عجيب التكوين غريب الخلقة اسمه « البعث » مسته حواس العصبية الحزبية وادركته نقائص النفس (القاسمية) ، فاراد ان يجرب التجربة الثالثة فى أقانيمه الثلاثة : السعدى والحافظ وعفلق ! فمزق الميثاق وفرق الرأى وحاول أن يجمع رقاب أمتين عريقتين فى غل واحد يقود به سورية والعراق قهرا الى فاشية الحزب كما يقاد القطيع الى مدية المجزر . فقيدوا حرية الشعب فى السجون ! وعلقوا رؤوس الاحرار على المشانق ! وأشلوا على الناس كلاب الحرس البعثى المسلح يرعبونهم فى المنازل ! وينبحونهم فى المدارس ! وينهشونهم فى الشوارع ويطاردونهم اذا هتفوا للوحدة أو صفقوا للاتحاد .

فعلوا ذلك وأكثر منه بعد ما أصموا آذانهم عن نصح الرئيس ، وأغمضوا عيونهم عن بؤس الشعب وأكرهوا ذاكراتهم على أن تنسى مصير قاسم وقد كان أشد منهم بأسا وأقوى كيدا وأكثر شيعة . فلم يكن بد للرئيس عارف من أن يضرب ضربته الثالثة فضربها فى اليوم الثامن عشر من تشرين فزلزلت الارض من تحت أقدام البعثيين العابثين ، فبعض هلك ، وبعض أسر ! وبعض فر . وحقق أبو الثورات

رجاء العرب فيه. وكنت فيمن رجوه يوم تقدمت اليه بكلمة في الرسالة وهو في القاهرة قلت فيها : « ان العصبية الحزبية في البعث السوري تعصف بميثاق الوحدة عصف الرياح الهوج بالشجرة الغضة . ولعله لم يترك منها الا جذعا سليبا يستند اليه في خداع الأغرار وهيهات أن ينخدع به احد ! والرئيس العراقي وهو من رواد الوحدة الاوائل ، ومن قوادها القلائل جدير بأن يسكن هذا الريح العقيم في سورية بحزمه، ويصد سمومها عن سياسة العراق بعزمه »! فكان جواب الرئيس الى تحية طيبة مؤمنة ! وكلمة واعدة مطمئنة .

ان الثالثة ثابتة كما يقول المثل ، وان الرئيس العارف بفضل ما آتاه الله من الصدق والصبر والايمان قد وجد بين العقاب القائمة والشعاب القاتمة والسماء الغائمة الطريق المؤدي الى الوحدة الشاملة والاشتراكية العادلة والحرية التي تزكو بالعراق العريق . ولن يخامرنا الشك في أن العراق سيسير وراء رئيسه في هذا الطريق فان المعهود في طبعه والمعلوم من تاريخه أنه يعوق ولكن لا يضل ، وأنه يستذل ولكن لا يذل وأنه يستضام ولكنه لا يصبر على الضيم الا ريثما يتحفز للوثوب ، فاذا وثب كسر القيود وحطم الاغلال وادب الطغاة .

احمد حسن الزيات

تصويب خطأ

جاء في السطر الثالث من الصفحة الثالثة من عدد الرسالة الماضي :

« ان أدبنا اذا لم يتجه الى تثبيت الاشتراكية في النفوس ... الخ » والصواب « ان أدبنا اذا ما اتجه الخ » .

حول الشعر الجديد

عزيزي الاستاذ رجاء النقاش

قرأت في أخبار الجمعة كلمتك التي ناقشت فيها رأيي في الشعر الجديد وانكرت أن يكون النموذج الذي بنيت عليه مقالي في الرسالة من الشعر الجديد.

والامر الذي أحب ان أذكرك اياه أن هذا النوع من الشعر الذي يحتفظ بالوزن ويتحلل من قيد القافية لم يكن جديدا ، وانما هو الشعر المرسل كما نسميه أو الشعر الابيض كما يسميه الفرنج . والمثال له هو المقطوعة التي سقتها أنت من شعر نازك الملائكة لو التزمت التفاعيل . وكان أول من استحله الشاعر الايطالي (ترسينو) سنة ١٥٢٥ فأنكره قوم وعرفه آخرون . ولكن الآذان لم تلبث ان الفته وصغت اليه فانتشر في أوربا ونظم منه شكسبير بعض دراماته. ثم تطور وغلا في التطور حتى اشتق منه نوع آخر يتخفف من الوزن والقافية ويقبل أن يتألف بيت من تفعيلة أو اثنتين وبيت آخر من اربع او أكثر. وذلك هو الشعر الحر . والمثال عليه المقطوعة التي صدرت بها مقالي في الرسالة . وكان أكثر ما يستعمل النوعان في الملاحم والمسرحيات والمطولات اشفاقا على الشاعر والقارىء من جرائر القافية كالتكرار والحشو والغرابة. وكان من العوامل التي مهدت لقبول الشعر المرسل في العروض الاوربي أن القافية بمعناها العربي لم تكن عنصرا جوهريا في الشعر الافرنجي قبل أن يقتبسها شعراء جنوبي فرنسا وهم (التروبادور) الذين أخذوها عن عرب الاندلس بحكم الجوار والمخالطة كما قال المؤرخ الفرنسي لويس فياردو في الجزء الثاني من كتابه (تاريخ العرب والبربر في أسبانيا) .

وللشعر المرسل جذور في الشعر العربي القديم فقد روى أبو عبيدة لابنة أبي مسافع وقد قتل ابوها يوم بدر :

فما ليث غريف ذو
أظافير واقدام
كحبي اذ تلاقوا و
وجوه القوم الوان
وأنت الطاعن النجلا
ء منها مزبد آن
وبالكف حسام صا
رم أبيض خذام

والشعر المرسل مقبول في القصة والمسرحية — كما فعل وأجاد الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في مأساة (جميلة) — ما دام يلتزم الوزن وتساوي التفاعيل . وقد عالجه من المعاصرين على هذا الشرط السيد توفيق البكري وصدقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري وفريد أبو حديد وزكي أبو شادي .

اما الشعر الحر الذي ينظم فيه اليوم أكثر المتمردين على عروض الخليل فليس من الشعر في شيء . وانما هو نثر مسجع ان التزم في كل فقرتين أو أكثر قافية ومرسل ان كان غير ذلك .

هذه كلمة لابد منها في التفرقة بين الشعر المرسل والشعر الحر ، فلعلها تزيل الخلاف بيني وبينك فنتفق على ما نأخذ من هذا الامر أو ندع .

احمد حسن الزيات

الإسلام دين الإنسانية والسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

جاء الاسلام والناس فريقان : اهل شرك ووثنية ، واهل دين يتمثل فى اليهودية والنصرانية ، فكان له من الشرك والوثنية موقف ، ومن اليهودية والنصرانية موقف :

فأما موقفه من الشرك والوثنية ، فكان موقف النقيض من النقيض : يبطل عقائدهم ، ويسفه احلامهم ، وينكر آلهتهم ، ويحاربهم بكل الوان الحرب . ذلك بأن العداوة بينه وبينهم اصلية اساسية ، لأنها فى القضية الاولى التى جاء بها كل الانبياء ، ونزلت بها كل الكتب قضية التوحيد واخلاص العبودية لله تعالى .

واما موقفه من اهل الدين اليهودى والنصرانى ، فكان هو السماحة بعينها ، او كان بلغة عصرنا : هو الرغبة فى (التعايش السلمى) المبنى على احترام كل فريق للآخرين ، والتعاون على تحقيق الاهداف المشتركة فى اقتلاع جذور الوثنية وتكريم الانسان من ان يرزح تحت اوزارها ، او يتجلل بخزيها وعارها :

● فكان من تلطف الاسلام معهم ان سماهم « اهل الكتاب » وهى تسمية جميلة ، فيها اعتراف بهم وتقرير ، لانهم اهل دين سماوى ، واعتداد بما عندهم من اصول الحق ، واسس الخير ، وفى هذه التسمية ايضا براعة فى توجيههم الى الطريق المستقيم ومناشدة لهم باسم كتابهم أن يفيئوا الى الحق ، كأنه يقول لهم : أنتم اهل كتاب ، واصحاب علم ، فجدير بكم الا تقفوا من دعوة الحق الا موقف المؤيد لها ، المتعاون معها ، وفى القرآن الكريم من هذه المناشدة آيات قوية ذات تأثير عقلى وعاطفى ، كقوله تعالى « يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ، يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ، يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم الى صراط مستقيم » .

● والقرآن الكريم يفرق بين صالحيهم وطالحيهم ويعطى كل فريق حقه ، ملتزما جادة العدل والصدق ، فيقول : « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما » « وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب » « يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

فكل هذه الآيات فيها انصاف ، وفيها قصد فى الحكم ، واحتياط فى التحذير ، وبرهان على ان الاسلام لا يبغى تعصبا ، ولا يريد أن يعادى الا من يعاديه ، وفيها فى الوقت نفسه تعويد للمسلمين على المرونة مع الاحتياط ، وعلى ان يفرقوا بين قوم وقوم ، والا يتخذوا الناس كلهم اعداء فيصيروا بذلك فى عزلة عن العالم ، والا يأمنوا جانب كل فريق ولو كان من دابه مخادعتهم ، والعمل على زلزلة مجتمعهم ودينهم واخلاقهم فان فى هذا غفلة لا تليق بالمؤمنين .

● وقد رسم القرآن الكريم طريقة مجادلتهم من حيث الاسلوب والموضوع : فأوصى بأن يكون جدالنا معهم هادئا حسنا ما داموا غير متعنتين ، وبأن يكون اساسه ان دعوتنا ودعوتهم واحدة ، وفى هذا وذاك يقول الله جل شأنه « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد » « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

● وقد اباح الاسلام طعام اهل الكتاب ، واحل ذبائحهم ، واجاز للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم ، وجعل للزوجة الكتابية التى يتزوجها المسلم جميع حقوق الزوجية ، وجعلها حرة فى اقامة شعائر دينها ، وبهذا وجد مسلمون ذوو امهات واخوال من اهل الكتاب ، ووجدت تبعا لذلك الرحم بين الاسرة المسلمة والاسرة الكتابية .

● وقد ارشد الله المسلمين الى ان الاختلاف فى الدين لا يصلح بذاته سببا للقطيعة والجفاء ، فقال جل شأنه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وبهذا برىء المسلم من الضغينة التى مبعثها

الاختلاف في الدين ، وصار مكلفا بان يعدل في معاملة مخالفه ، بل بان تكون معاملته له على اساس البر ، والبرفوق العدل ، وانما نهى القرآن عن موالاة اعداء الله : اعداء الحرية الفكرية الانسانية في الاعتقاد ، والحرية السياسية في الاوطان ، من كل من قاتلهم ليخرجهم من دينهم ، او ليخرجهم من اوطانهم ، او عاون على اخراجهم وتشريدهم . ان على المسلمين ان يرفضوا موالاة هؤلاء او التعاون معهم ، وهم في ذلك اصحاب حق طبيعي انساني مشروع ، وليسوا في تمسكهم بهذا الحق متعصبين ، ولا خارجين على مقتضى الانسانية والسلام .

***

ولقد كان للمسلمين موقف من مواقف الشرف الانساني وقفوه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم كانت الدعوة الاسلامية تكافح وتناضل في سبيل اعلاء كلمة الله ، في سبيل التوحيد والوحدة، في سبل اقرار حق الانسان في الحرية ، وفي الكرامة وفي التفكير ، وفي كل معنى من المعاني التي لا تستقيم انسانيته الا بها ، ولا تستقر حياته الا عليها .

هذا الموقف هو ما يحدثنا به التاريخ من ان بلاد العرب كانت يومئذ تجاور دولتي الروم والفرس ، وقامت بين هاتين الدولتين حرب شديدة ، وكان العرب يتتبعون اخبار هذه الحرب في شغف وتلهف ، كما تعودت الشعوب في ايام الحروب :

كان المشركون من اهل مكة يتمنون ان ينتصر الفرس على الروم ، لانهم وثنيون مثلهم ، لا يؤمنون بالله ، ولا ببعث ولا نشور ، وكانوا يريدون بذلك ان يفتوا في عضد المسلمين ، ويفهموهم ان الروم انما غلبوا لانهم اهل دين وكتاب ، حتى يشعروهم بالمرارة والالم واليأس من الانتصار .

وكان المسلمون يودون لو انتصرت الروم على الفرس لان الروم من اهل الكتاب ، وكتابهم هو الانجيل ، والمسلمون ايضا من اهل الكتاب ، وكتابهم هو القرآن ، اما الفرس فعباد اوثان .

فلما غلبت الروم ، وانتصرت الفرس ، تطاولت اعناق المشركين من اهل مكة فرحا ، وصاروا يتلاقون في الاندية والطرقات يعانق بعضهم بعضا ، ويتبادلون التهنئة بفوز الفرس ، واندحار الروم .

وكان المسلمون على العكس من ذلك .

وبلغ الامر بالمشركين الى انهم كانوا يتهكمون بالمسلمين ، ويبشرونهم بيوم من الهزيمة كيوم الروم ، حتى ابدى احدهم من السرور امام ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما اغاظه واحرج صدره ، فقال له : لا تعجل بالمسرة ، فسياخذ الروم بثارهم .

وما لبثوا ان انزل الله في ذلك قرآنا حيث يقول في مطلع السورة المعروفة بسورة الروم :

« الم ، غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

ولم تمض بعد ذلك الا تسع سنين حتى انتصر هرقل ملك الروم ، وهزم فارس واسترد منها الشام ففرح المؤمنون بهذا النصر فرحا عظيما ، وكبت به المشركون .

***

ما الذي نفهمه من هذا الموقف :

اننا ندرك منه ان الاسلام دين مبادىء لا دين اشخاص ولا منافع .

فهو يؤثر النصر لاهل الكتاب ، والهزيمة لاهل الشرك والوثنية .

لانه يرى اهل الكتاب اقرب الى مبادىء الحق التي جاء بها ، فهم يؤمنون بالله ربا ، وهم يعتقدون بالبعث والحساب .

اما الوثنيون فهم لا يعرفون ربا ، ولا يرجون بعثا ولا نشورا ولا حسابا .

وهكذا الدول الحصيفة تنظر الى المبادىء فتمنح حبها ومودتها وتمنياتها للفريق الذي تعلم انه يحتضن المبادىء السليمة ، وتنظر الى المجاهدين في سبيل هذه المبادىء نظرة اكبار واعجاب ، وتفرح لهم اذا اصابوا نصرا ، وتحزن من اجلهم اذا اصابتهم هزيمة وتعمل كل ما استطاعت على مؤازرتهم وتأييدهم .

ونحن الآن - شعب الجمهورية العربية المتحدة - امة ذات دعوة اصلاحية ، ومبادىء اجتماعية ، قررنا ان نعيش من اجلها ، او نموت في سبيلها .

فلا يمكننا ابدا ان نمالىء المستعمرين واذناب المستعمرين ، على اصحاب المبادىء الصالحة .

ولا يمكننا ان نسكت ونقف موقف المتفرجين ، وهؤلاء الطغاة الذين لا تعرف الرحمة سبيلا الى قلوبهم ، ولا يؤمنون بحق الانسان في الحرية

كاتب وكتاب

للدكتور محمد أحمد خلف الله

ابو خلدون ساطع الحصرى خير من عرفت من الناس صدق ايمان بالقومية العربية ، وشدة يقين وقوة امل فى مستقبلها الزاهر . وهو افضل من عرفت فهما لمعنى القومية ، وادراكا لمقوماتها ، ووعيا بمضمونها ومتطلباتها . وله فى ذلك كتب عديدة نذكر من بينها : محاضرات فى نشوء الفكرة القومية ـ آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية ـ آراء وأحاديث فى القومية العربية ـ ما هى القومية .

* * *

وأبو خلدون ساطع الحصرى أقدم من نعرف من المعاصرين عملا فى الميدان القومى . فقد عمل فى هذا الميدان ولا تزال البلدان العربية رازحة تحت حكم الاتراك العثمانيين ، **ولا يزال هو موظفا فى بلاد الخلافة العثمانية** ـ يعمل قائمقاما فى بلاد اليونان او مديرا لدار المعلمين ببلاد الاتراك ـ . وعمل فيها ايضا ابان **الثورة العربية** الكبرى وبعدها . وكان وزيرا لأول وزارة الفت بعد نجاح تلك الثورة . وكان ممثل هذه الوزارة فى مفاوضة **الفرنسيين** أثناء غزوهم **سوريا** وقبل دخولهم **دمشق** واحتلالهم هذه البلاد . وكان من الذين رحلوا مع الملك فيصل من سوريا **واستقر معه فى العراق** . وظل يعمل حتى أيامنا هذه . وهو من هذه الناحية يعتبر **السجل الحافل بالاحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية التى كانت البلدان العربية مسرحا لها .**

وله من الكتب التى تصور التاريخ القومى كتبا عديدة نذكر من بينها : صفحات **من الماضى القريب ـ يوم ميسلون ـ البلاد العربية والدولة العثمانية .**

* * *

وأبو خلدون ساطع الحصرى أول من ادرك من المشتغلين بالقومية العربية قيمة الثقافة فى البناء القومى . انه يعتبرها المقوم الاول من مقومات القومية . ويعتبرها الاساس الاول فى تحقيق هدف **الوحدة العربية الكبرى** . ومن هذا فكر فى التبادل الثقافى ، وحقق هذا التبادل بين كل من مصر

والكرامة ، يضربون اصحاب المبادىء الشريفة الذين يجاهدون فى سبيل كرامتهم وعزتهم وخلاص اوطانهم من ايدى الغاصبين .

واذا كان التاريخ يحتفظ للمسلمين الاولين بهذا الموقف المشرف ، فانه يحتفظ لليهود الذين كانوا يعاصرونهم بموقف على عكس هذا الموقف كانوا فيه شخصيين انتهازيين كعادتهم :

وذلك ان جماعة من كبارهم قدموا الى مكة فاجتمع بهم المشركون الوثنيون ، وسألوهم عن اخبار النبى والمسلمين فى المدينة ، ثم قالوا لهم : خبرونا يا معشر يهود فانتم اهل الكتاب وأدرى منا بالاديان : أدين محمد خير أم ما نحن عليه ، فقالوا ولم يتورعوا : بل ما انتم عليه خير من دين محمد واصحابه ، وانتم اهدى منهم سبيلا .

فكان هذا موقفا شاذا من هؤلاء الذين يعرفون الحق وينكرونه ، وكيف يسمح قوم نزل عليهم كتاب ، وبعث اليهم رسول يؤمن بالتوحيد والبعث ، ان يؤيدوا الوثنية على التوحيد .

ولذلك انزل الله تعالى قوله : الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا ؟ اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

والعبرة من هذا الموقف ان هؤلاء اليهود هم دائما على استعداد لان يبيعوا كل شيء فى سبيل اغراضهم الدنيئة وان يتنازلوا حتى عن عقائدهم الدينية ، فى سبيل الكيد للمسلمين ، ذلك ماضيهم وذلك حاضرهم ، ولذلك نراهم يجوبون الآفاق فى افريقيا على وجه الخصوص لحرب العرب ، بل لحرب الجمهورية العربية المتحدة بالذات ، وليوهموا اهل افريقيا بأنهم على استعداد لخدمتهم ومعاونتهم وما يريدون بذلك الا بث سمومهم ، ونصب احابيل كيدهم للاسلام والمسلمين .

ومن هنا نرى ان علينا واجبا خطيرا ، وانه لا يجمل بنا ان نقف منكمشين داخل حدودنا ، فان اليهودية الحديثة تريد ان تطوقنا ، وان تعزلنا ، فلنبادرهم ، ولنسابقهم ، ولنبين لاخواننا وجيراننا ختلهم ومكرهم والله المستعان .

محمد محمد المدنى

والعراق ، ومصر وسوريا. يوم أن كان مديراً لمعارف العراق ، ويوم ان كان مستشارا لمعارف سوريا • وله فى ذلك من الكتب : **الوحدة الثقافية – آراء واحاديث فى العلم والاخلاق والثقافة – آراء وأحاديث فى اللغة والادب – حولية الثقافة العربية •**

واعتمد ابو خلدون فى تحقيق هذه الفكرة تبادل الاساتذة والطلاب ، وتوحيد المناهج والكتب • وأفادت خطته هذه فى الميدان القومى فوائد عديدة اهمها فيما نرى **التعرف على الوطن العربى فى أجزائه المختلفة •** واقامة نوع من الألفة والمودة بين ابناء الامة العربية – اساتذة وطلابا – فى مختلف أجزاء الوطن العربى • **واقامة مايدعى باتحاد الطلبة العرب** ••• الخ •

وابو خلدون ساطع الحصرى **ممن يؤمنون ايمانا قويا بفكرة قيادة مصر للقضية العربية ، وزعامة مصر للامة العربية •** نادى بذلك فى **الثلاثينيات** من هذا القرن ، وحاضر فى ذلك بنادى المثنى ببغداد • وبنى ايمانه فى تلك الايام على اساس ان مصر قلب الوطن العربى ، وأن المشرق والمغرب بمنزلة الجناحين ، **وان لا حياة للجناحين بدون القلب • كما بناه على امكانيات مصر المادية والمعنوية ، وتاريخها الحضارى والثقافى •**

وينادى أبو خلدون بذلك حتى اليوم ، ولقد كان أكثر الناس فرحا بقيام **الثورة المصرية لانها فى وعيه تحقق الامل والرجاء •**

لقد قضت الثورة على الملكية فى مصر ، واعتبر ذلك خطوة جبارة فى سبيل تحقيق الوحدة العربية – لان العروش والتيجان هى العقبة الكبرى فى سبيل تحقيق هذا الهدف • ولان العرش المصرى اقدم العروش تاريخا ، وأرسخها قدما ، وأثبتها على الايام ، فاذا مازال سهل على غيره أن يزول ، **وسهل على ابناء الامة تحقيق الوحدة •**

ولقد قام بالثورة رجال من الشبان الذين شاركوا فى **معركة فلسطين** ، واعتبر ذلك خطوة جبارة اخرى لأن من يشارك فى قضية فلسطين يدرك خطورة **اسرائيل** ، ويدرك فى الوقت نفسه **حاجة الامة العربية للوحدة •**

ان الوحدة العربية هى السبيل الوحيدة **للقضاء على اسرائيل** ، واخراجها من قلب الوطن العربى ، **واسترداد الجزء السليب فلسطين •**

ان مصر فى وعيه هى البلد العربى الوحيد الذى يستطيع أن يجمع العرب على رأى ، وان يواجه بهم **مجتمعين مشكلات الامة العربية الداخلية والخارجية •** وهى البلد العربى الوحيد الذى يستطيع **قيادة الامة العربية** نحو مستقبل زاهر ، وحضارة علمية ، وحياة انسانية أفضل •

وابو خلدون ساطع الحصرى من اصحاب الرؤى • من الذين يتطلعون الى المستقبل البعيد فيكتشفون اسراره ، ويعرفون خباياه ، ويتنبئون بما يمكن أن يقع من أحداث أو يتكون من تيارات • وله فى ذلك اشياء تشبه أن تكون من الخوارق أو الكرامات • ان كثيرا مما توقع قد وقع وخاصة فيما يتناول **استقرار القومية وتحقيق الوحدة •**

لقد كان الكثيرون يظنون **القومية العربية** ضربا من الخيال ، وظنها حقيقة ، واصبحت حقيقة ، يؤمن بها الجميع ، ولا ينكرها المنكرون الا فى خفاء •

ولقد كان الاستعمار يظن أنه يستطيع القضاء على **فكرة الوحدة العربية الكبرى** بطرح أفكار عن الوحدات الاقليمية مثل الفكرة القائلة بسوريا الكبرى والقومية السورية • ورأى ابو خلدون فى هذا ضربا من الهذيان ، وجادل فى ذلك القوميين السوريين • وجاءت الايام تحقق قوله ، **واتخذ العرب أجمعين فكرة الوحدة الكبرى لهم شعارا •**

وأبو خلدون ساطع الحصرى أكثر الناس اخلاصا **للقضية العربية** وتفانيا فى خدمتها ، وأقوى الناس حجة فى الدفاع عن **القومية العربية وجدلا فى سبيلها** • يجادل فى ذلك كل من تعرض لها بسوء • ويحاج فى ذلك السياسيين ، والادباء والمفكرين • **يحاج من المصريين لطفى السيد ، وطه حسين ، والشيخ المراغى ، وعلى عبد الرازق ، وامين الخولى ، وحسين مؤنس ، واحسان عبد القدوس وغيرهم • ويحاج من السوريين واللبنانيين العدد الكثير •**

وله من الكتب فى هذا الميدان كتب عديدة نذكر من بينها : **العروبة بين دعاتها ومعارضيها – دفاع عن العروبة – العروبة اولا – الاقليمية جذورها وبذورها •**

والكتاب الذى نقف عنده اليوم هو الكتاب الاخير

من المجموعة السابقة ، وهو أهمها فيما نرى ، وتجيء أهميته مما يلي :

١ ـ ان الكتب السابقة كانت تجادل أقواما لا يلتقون معه في فكره ، ولا يؤمنون معه برأى • وانما يختلفون **اختلافا عقائديا** • لقد كان يجرهم الى القومية العربية جرا • أما في هذا الكتاب فيناقش قوما بينه وبينهم مودة ، يؤمنون بما يؤمن به من عقيدة ، ويذهبون الى ما يذهب اليه من رأى ، يؤمنون **بالقومية العربية ، وبالوحدة العربية ، ويعملون في سبيل تحقيقها ـ حتى كانوا يعتبرونه الأب الروحى ويعتبرهم الأبناء المخلصين** •

٢ ـ انه كان يجادل السابقين على أساس انهم من الضالين أما هؤلاء فيجادلهم على أساس انهم **من المنحرفين** عن بينة ، وعن **سابق اصرار** • انه هنا يكشف عن العوامل النفسية أما هناك فيكشف عن **الاخطاء الفكرية** •

٣ ـ انه في كتابه هذا يصور **خيبة أمل** أكثر مما يصور **حقيقة حال** • يصور خيبة أمل في أناس بصرهم بالمستقبل من أجل أنفسهم وعقيدتهم ، فابصروا ، ولكنهم أبصروا أنفسهم وأبصروا حزبهم أكثر مما أبصروا الامة والعقيدة •

لقد كان في جدله مع هؤلاء **قاسيا عنيفا** لانه يعتبر موقفهم أخطر من كل **موقف وانحرافهم أكبر من كل انحراف** • انهم فيما يرى **يهزون الكيان العربى هزا عنيفا . ويحدثون فيه من البلبلة والاضطراب أكثر مما أحدث غيرهم** •

يناقش الكتاب **شكرى القوتلى وجماعة من البعثيين** فيما يخص مسائل **الوحدة والانفصال** • يناقشهم وهو متفائل ـ ان ايمانى بمستقبل الامة العربية الزاهر ووحدتها المحتومة •• لم يتزلزل ، على الرغم من النكسة الأليمة التى منيت بها أخيرا ••

وأنا لا أشك في أن ـ **تاريخ الوحدة العربية** ـ سيحكم على ساسة سوريا الذين أيدوا الحركة الانفصالية بأشد الاحكام وأقساها ، وأحكامه هذه ستكون بالغة الصرامة وبوجه خاص على قادة **حزب البعث** الذين كانوا **يتباهون بحمل الوية الوحدة العربية ونشرها بين الناس** ••

وأما منطق البيان الذى أصدره البعض منهم ـ تبريرا لموقفهم هذا ـ فيشبه كل الشبه من يقول :

هذا الوليد لا يزال غير سليم من العيوب ، فلنقتله الآن ، لكى نحييه بالشكل الذى نريده في مستقبل الايام ••

واعتقد أن شباب البعث ـ مثل سائر شباب العرب الواعي ـ لا يمكن أن يؤيد هذه المواقف الهدامة •

يناقش شكرى القوتلى في بيانه **الذى أصدره عقب الانفصال** ويقول في صراحة مؤلمة على الرغم من الصداقة التى كانت قائمة بين الرجلين ـ ان المواطن العربى الاول شكرى القوتلى يقول بصيغة التأكيد ، وبدون أى قيد أو تحديد • « **ان النظام الذى يجوز تطبيقه في مصر ، لا يمكن ولا يجدى تطبيقه في سوريا ، لاختلاف البيئات جغرافيا ، وبشريا ، واجتماعيا** •

وطبيعى ان أول ما يتبادر الى الأذهان امام هذا الزعم ـ السؤال التالى :

اذا كان هذا ما يعتقده شكرى القوتلى ، فكيف ، ولماذا طلب الوحدة بين مصر وسوريا وساهم في تحقيقها ؟ •

ولكنى لن أتوقف عند هذا السؤال ـ على الرغم من وجاهته وخطورته ـ بل سأتركه جانبا ، وسأناقش الكلمة المنقولة آنفا ، بقطع النظر عن قائلها •

اختلاف البيئات جغرافيا ، وبشريا ، واجتماعيا • **هل يستلزم اختلاف النظم بوجه عام ؟** •

الا تضم كل دولة ـ لها شيء من الاتساع ـ بيئات متنوعة ، يختلف بعضها عن بعض من الوجوه الجغرافية والبشرية والاجتماعية ؟

وفي داخل حدود الجمهورية السورية نفسها الا توجد بيئات متنوعة عديدة ، يختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا من هذه الوجوه ؟

افلا تختلف البيئات بين **محافظة اللاذقية التى** تمتد بين البحر وبين الجبال المكسوة بالغابات • ألا تختلف ، جغرافيا ، عن **دير الزور** البعيدة عن البحر والمحرومة من الجبال ؟

افلا تختلف **البيئتان المذكورتان** ، بشريا واجتماعيا ، لاختلافهما **من حيث الحياة المدنية والعشائرية ، والاحوال الدينية والمذهبية ؟**

أفلا يوجد **اختلافات** مماثلة لذلك بين **جبل الدروز وبين حلب ، ثم بين حوران وبين الجزيرة ؟**

وهذه الاختلافات ، هل حالت دون **خضوع هذه المحافظات لنظام واحد ؟**

أفلا يتبين من كل ذلك • **أن ماجاء في الكلمة التي نقلناها آنفا عن بيان شكري القوتلي ، انها لاتدل على تفكير علمي سليم — في ميدان السياسة بوجه عام ، وفي ميدان السياسة القومية بوجه خاص ؟**

ويناقش بيان البعثيين فيقول : لقد قلتم في البيان : **ان الاستعمار وأعوانه كانوا قد صمموا منذ اليوم الاول لقيام الوحدة على ضرب تلك الوحدة ، سواء تداخلتها الاخطاء والانحرافات أم لم تداخلها •**

ان قولكم هذا صائب تماما ، وهو يعبر عن حقيقة هامة ، وأنا أؤيده كل التأييد •

ولكني أقول في الوقت نفسه **ان هذه الحقيقة كان يجب ألا تخلو من التأثير على أعمالكم •**

ان الاعتراف بهذه الحقيقة يستلزم التعمق والتوسع فيها بالتأمل في هذا السؤال : **ماهي الوسائل التي** توسل بها الاستعمار أعوانه في هذا المضمار ؟

طبعا ان هؤلاء لم يهملوا استعمال سلاح المال لشراء الذمم واصطناع الاعوان والعملاء في هذا المضمار •

ولكنهم اعتمدوا — وكان من الطبيعي أن يعتمدوا — أكثر من ذلك بكثير على الاسلحة النفسية لاثارة النعرات الاقليمية ، وتحريك أعصاب النفعية ، واستغلال الاطماع الشخصية ، واثارة الشكوك والمخاوف في النفوس •

وكان من أهم وأخطر وأفعل الوسائل التي توسلوا بها لتحقيق أغراضهم هذه هي اشاعة الاكاذيب والمفتريات ، عملا بالقول المشهور • افتروا • • افتروا على الدوام • لابد أن يبقى أثر من ذلك في النفوس ".

ومن المعلوم أن أجهزة الدعاية المعادية للعروبة نشطت الى العمل في هذه السبيل منذ الايام الأولى للوحدة ، ولم تنقطع عن العمل في هذا المضمار — ليل نهار — بنشر سلسلة من الاخبار الكاذبة بمهارة فائقة ، وأساليب خداعة •• حتى صارت تسيطر على أذهان الكثيرين •

كان يترتب على جميع القوميين المؤمنين بوحدة الامة العربية ، أن يحاربوا هذه الاذاعات والاشاعات الكاذبة ، ويحولوا دون انخداع الناس بها •

ولكن مع الأسف الشديد ، ان محافل حزب البعث لم تلتفت الى هذا الواجب • وفضلا عن ذلك صارت تسترسل في انتقاد الاوضاع بتعبيرات مطاطة وتردد فقرات — ضرورة الحزبية والديمقراطية — بدون انقطاع •

ولهذا السبب صار يختلط في أذهان الكثيرين من المواطنين ، اشاعات عملاء الاستعمار مع تقولات قادة حزب البعث ، وذلك سهل — الى حد كبير — انخداع الناس بها ،دون أن ينتبهوا الى مصادرها الاصلية ، واغراضها الحقيقية •

اني شاهدت هذه الاحوال بنفسي مرات عديدة • وقد حدث غير مرة عندما حاولت تكذيب بعض الشائعات التي كنت متأكدا من عدم صحتها ، وسعيت لاظهار أغراض المستعمرين وأعوانهم من اختلاقها ، اني جوبهت بهذا الجواب •

ولكن البعثيين أنفسهم يقولون •••

ان من لم ينتبه الى هذه الافاعيل النفسية ، يبقى بعيدا عن فهم أهم العوامل التي سهلت على الانفصاليين أن يضربوا ضربتهم المعلومة •

ويمضي الكتاب في مناقشة كثير من المواقف التي وقفها المؤمنون بالقومية العربية من الوحدة العربية وهو في مناقشته هذه لم ينس أن يشير الى مواقف الرئيس جمال عبد الناصر •

انه يعتبره القائد الجريء الشجاع القائد الذي ينقد نفسه بنفسه ويعرف مواطن الضعف في مواقفه •

انه يقول بعد سرده للكثير من أحاديث السيد الرئيس يلاحظ أن هذا النقد الذاتي مشبوب بحرارة الايمان ومقرون بشجاعة أدبية لامثيل لها في التاريخ •

ان كل من ينعم النظر في مواد هذا النقد الذاتي قد لايقر البعض منها ، وقد يراها غير كافية فيقترح أن يضاف اليها بعض النقاط الاخرى ••• ولكن •• مهما يكن الامر لايستطيع أن يمنع نفسه من الانحناء أمام الاخلاص وهذه الصراحة بكل تقدير واعجاب واجلال ••

ان كتاب السيد **ساطع الحصري** جدير بأن يقرأه كل انسان وخاصة ممن يعملون في الميدان القومي•

دكتور محمد احمد خلف الله

جراسة الحق معيار الإيمان

للأستاذ محمد الغزالي

محبة الحق والفضيلة والخير من أبرز الخلال التي غرسها الاسلام في قلب المؤمن وسيرته فعلاقة الانسان المؤمن بهذه المعاني ليست المعرفة النظرية المجردة أو الاحترام الشكلي المتوارث أو الحفاوة العابرة المفروضة . لا . ان رباطه بهذه المعاني يقوم على حب مكين وغيرة بادية . وتقديس محيط . وعاطفة مشبوبة .

وقاعدة احقاق الحق وابطال الباطل وتحسين الحسن وتقبيح القبيح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . انما تسيل من هذا الينبوع النقي الطهور .

وهذه القاعدة هي الميزة التي اختصت الأمة الاسلامية بها . واستحقت الخلود والتقديم لقيامها عليها ..

والخير والشر صفات ذاتية للناس . لكن المسلم لا يكفيه ان يكون خيرا ليكمل وينجو . بل لا بد أن ينتقل هذا الخير الى المجتمع الذي يحيا فيه . فاذا أتم بناءه ورفع لواءه . انتصب محاميا عنه واشتغل بحراسته وجعل صيانته من كرامته الخاصة والدفاع عنه دفاعا عن عرضه واخيرا يرى الموت في سبيل بقائه الشهادة التي ترفعه الى عليين .

وهو يترك الشر . غير ان ذلك لا يكفي في تمام يقينه وصدق ايمانه . انه يستهدف محو الشر من المجتمع حوله . ويجار باستنكاره ان رأى بوادره ويشتبك معه اذا كلح وجهه فاذا أبى الفساد الا الاصرار على انطلاقه دخل معه في صراع حياة أو موت .

وهو كاسب على الحالين . ان انتصر في المعركة أو لقي الله مضرجا بدمائه دون أن تنتهك حرماته وتداس شعائره .

هذه طبيعة الاسلام . وذاك سر الخلود في رسالة امته . وأساس الفضل والرجحان الذي نطقت به الآية الكريمة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

ومنازل المسلمين من الدين ومكانتهم في أنفسهم وعند الله بقدر ما يحرزون من هذه الخصائص اللامعة

والذين يتدبرون مهالك الامم وفناء الحضارات يحكمون بأن رحمة الله بالعالم اخراج أمة تتعلق باحقاق الحق وابطال الباطل على هذا النحو الرائع

فان الحياة لم تعتل لجهل الناس بالخير والشر قدر ما اعتلت لترك الخير يخذل ويتوارى أصحابه وترك الشر يستعلن ويطغى زبانيته ..

وقضايا العالم الكبرى الآن مثل لهذا العوج المقبوح

فكم من شعب ترك فريسة للضيم لا لغموض في شكاته . أو خفوت في استغاثته . ولكن صوت الهوى أعلى . ولسانه بالأذى أحد .

على أن تغيير المنكر . واقرار المعروف ليسا قدرة قلم على الكتابة أو فم على الخطابة . انما هما فيض الايمان الغيور وقدرة انسان على اطراح الدنيا وايثار ما عند الله .

روى المؤرخون أنه لما قدم عبد الله بن علي الشام من قبل بني العباس في مفتتح دولتهم وابان تتبعهم لاعدائهم بالقتل والاجتياح . جيء بعبد الرحمن الأوزاعي للقائد الثائر وحوله الجنود سيوفهم مسلولة . فقال له عبد الله : ما تقول في بني أمية ؟

قال : قد كانت بينك وبينهم عهود . وكان ينبغي أن تفوا بها !

قال : ويحك اجعلني واياهم لا عهد بيننا !!

قال عبد الرحمن الاوزاعي : فأجهشت نفسي وكرهت القتل !! فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها فقلت : دماؤهم عليك حرام ....!!

فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه . وقال : ويحك ولم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : ثيب زان . ونفس بنفس وتارك لدينه » .

قال: أو ليس لنا الأمر ديانة؟ قلت : فكيف ذاك؟ قال : أليس كان رسول الله أوصى لعلي ؟ قلت : لو اوصى اليه ما حكم الحكمين . فسكت . وقد اجتمع غضبا . فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي . فقال بيده هكذا ... أوما أن أخرجوه . فخرجت .. !! فانظر كيف غلبت محبة الحق على محبة الحياة وكيف رجح خوف الله خوف أصحاب السلطة ...

بمثل هذا الاخلاص يمتد عمر الخير فى الارض وتنتعش المثل العليا فى العالم ...

وانى عندما أتأمل فى تاريخ الائمة الذين فرضوا فقههم على عصور طويلة لا أجد ذلك عائدا الى رسوخهم فى العلم وحده بل اجد ان رسوخهم فى الايمان واستعذابهم التضحية فى ذات الله وتفانيهم فى قول الحق واعلانه ومجابهة العامة والخاصة به هو الذى سبق بهم وأعلى قدرهم وأبقى على الآماد ذكرهم ..

***

كان أبو حنيفة يكره استبداد الملوك على عهده ، ويضيق بمسالكهم. ويبسط لسانه فى نقد سياستهم حتى قال له تلميذه زفر : والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال فى أعناقنا !! »

ولكن أبا حنيفة لا يخشى الشنق ولا أن يجر فى الحبال . انما يخشى الله ويحب أن تصان الامم من لوثات هؤلاء الملوك الجائرين . من أجل ذلك ازور عنهم يوم رغبوا اليه أن يتولى لهم القضاء . لقد ارادوا أن يكسبوه الى جانبهم وأن يكسروا حدة المعارضة لهم بمثل هذه السياسة الذكية . غير أن الرجل الكبير أبى . واعتصم بدينه وخلقه فلم يبع دينه بعرض من الدنيا .

قال المؤرخون : كان ابن هبيرة واليا على الكوفة فى العهد الاموى . فلما ظهرت الفتن بالعراق جمع الفقهاء ببابه وولى كل واحد منهم صدرا من عمله .

وأرسل الى أبى حنيفة وأراد أن يجعل الخاتم فى يده . فلا ينفذ كتاب الا باذنه . ولا يخرج شىء من بيت المال الا من تحت يده . فامتنع أبو حنيفة !! فحلف ابن هبيرة ان لم يقبل أن يضربه !! فاجتمع الفقهاء على أبى حنيفة يقولون له : انا ننشدك الله الا تهلك نفسك فانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الامر . ولم نجد بدا من قبوله .

فقال أبو حنيفة : لو ارادني أن أعد له أبواب مسجد « واسط » لم أدخل فى ذلك . فكيف وهو يريد منى أن يكتب دم رجل يضرب عنقه .. وأختم أنا على ذلك الكتاب !! فوالله لا أدخل فى ذلك أبدا ! فقال ابن أبى ليلى : دعوا صاحبكم فهو المصيب وغيره المخطىء ..

فحبسه صاحب الشرطة وضربه أياما متتالية .. فجاء السجان الضارب الى ابن هبيرة وقال له : ان الرجل ميت . فقال ابن هبيرة : قل له : تخرجنا من يميننا – يعنى يتولى القضاء – فقال : لو سألنى أن أعد له أبواب المسجد ما فعلت . ثم عاد الضارب الى ابن هبيرة الذى قال : ألا ناصح لهذا المحبوس أن يستأجلنى فأؤجله ؟ فأخبر أبو حنيفة بذلك . فرأى أن يخرج من محبسه بهذا العرض . وأرسل الى ابن هبيرة يقول : دعنى أستشير اخوانى وأنظر فى الأمر فخلى سبيله . فلما استعاد حريته ترك الكوفة هاربا الى مكة ...

والغريب أنه لما صارت الخلافة للعباسيين . ورجع أبو حنيفة الى الكوفة طلب منه المنصور أن يتولى القضاء له . فأبى . وأدخل السجن وضرب مائة سوط وعشرة . وما زال التضييق عليه حتى مات !

***

ولمالك فقيه دار الهجرة مسلك آخر يتفق مع أبى حنيفة فى النية والوجهة ويختلف معه فى الوسيلة. فقد رأى هذا الامام أن يقترب من الحاكم وأن يقيم معه بعض العلائق . ولكن حاشاه أن يكون هذا القرب استكثارا من الدنيا أو استطالة على الناس . وماذا يفعل مالك عندما يكتب له المنصور :

« ان رأيت ريبة فى عامل المدينة أو عامل مكة أو أحد عمال الحجاز . فى ذاتك أو ذات غيرك . أو سوء سيرة فى الرعية . فاكتب الى بذلك أنزل بهم ما يستحقون . وقد أكتب الى عمالى بها أن يسمعوا منك ويطيعوك فى كل ما تعهد اليهم . فانههم عن المنكر ومرهم بالمعروف تؤجر على ذلك . وأنت خليق أن تطاع ويسمع منك » .

ان هذا الخطاب اللبق لا يزيد عن أنه ييسر لمالك الرقابة على أعمال الموظفين والولاة كى يضبطها بحدود الله ومعالم شرعه . والنكوص عن هذا لا مسيغ له .

اما أبو حنيفة فكان يعترض ابتداء على أساس الدولة واشخاص الخلفاء . ومن ثم أبى أن يتعاون معهم بأى شىء . وآثر أن يشتغل بالتدريس لعامة المسلمين وحدهم .

وقد قيل لمالك : انك تدخل على السلاطين وهم يجورون ويظلمون . فقال لمحدثه : رحمك الله وأين التكلم بالحق ؟ . وقال مالك فى نصيحة عامة : حق على كل مسلم أو رجل جعل الله فى صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل الى ذى سلطان فيأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه .. لان العالم انما يدخل على السلطان لذلك .

فاذا كان ذلك ــ ما يبقى بدخوله ــ فهو الفضل الذى ما بعده فضل ٠

واخلاص مالك للحق وحده جعله يتحرى وجه الله فى علاقاته بالحاكم والمحكوم جميعا ، فلم يفرط هذا الامام الضخم فى حقوق ربه وان احاطت به أسباب النجلة الرسمية وانساقت اليه هدايا السلطان !! سأله الجمهور عن حكم الايمان التى يستوثق بهـا هؤلاء الخلفاء لأولياء العهد بعدهم ! فافتى مالك بانها لاقيمة لها ٠ وذلك أن الخليفة كان يحب تمليك ابنه من بعده فيحتال على ذلك بأن يجمع الاعيان والوجهاء والقادة والفقهاء ويحلفهم بالطلاق والعتاق أن يطيعوا ابنه اذا ما هو فارق الدنيا فجاء مالك ورفض هذه الايمان كلها وعدها وليدة اكراه سياسى وأن صاحبها لايلزمه الوفاء بها واغتاظ الحاكم العباسى من هذه الفتوى واصدر أمرا بالقبض على مالك وتعذيبه حتى يرجع عنها وأبى مالك الا الثبات على حكم الله ٠ وانهالت عليه السياط الكاوية وهو يتجلد ٠ وترك بعد أن حدثت له عاهة فى جسمه ٠ فقيل انه لم يستطع تحريك احدى يديه من اثر هذا العدوان حتى مات !!

يقول الاستاذ أمين الخولى ــ وعنه أثبتنا النقول التاريخية السابقة فى أنباء مالك ــ لقد تبدو هذه المحن بادى الرأى لطخات سوداء فى صورة الحياة ٠ اذ كانت ضربا وتعذيبا وامتهانا لكرامة رجال ذوى علم وحرمة ٠ وقد يكونون ذوى سن عالية فى أكثر الاحيان ٠ لكن الباحث المدقق المستشف لما وراء المظاهر الفردية والسطحية يقدر فيها الجانب الاجتماعى ويقيس بها تقدم الانسانية وكسب الحرية الادمية فتبدو هذه المحن لمعات وضيئة فى ظلام الحكم الفردى القاسى ٠ اذ هى صمود لهذا الحكم يهز من جبروته ويحد من قسوته ويسجل بقاء الشعور بالكرامة الانسانية والحرص على أداء الامانة الاجتماعية التى حملها الله أهل العلم فهم بها أهل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠

« واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ٠٠٠ »

والاحساس بهذا الواجب على أصحاب العلم وحملة الامانة وتضلهم حين يحتملون فى سبيل أدائه ما يحتملون هو احساس قديم خالج النفوس فى تلك العصور ٠٠٠

ويبدو فى مثل قول عمر بن عبد العزيز ذى القلب الحساس : ما أغبط أحدا لم يصبه فى الأمر بالمعروف أذى !! » وهى كلمة كان يرددها مالك ويذكر معها بعض من أصيبوا فى هذا الامر كسعيد بن المسيب وغيره ٠ وسعيد أحد أعلام الدنيا وسيد التابعين وله فى قوة النفس مواقف مشرفة ٠ فقد دعى الى بيعة عبد الله بن الزبير ؛ فأبى ؛ فضرب ٠ ودعى الى البيعة لسليمان والوليد بولاية العهد فلم يفعل ؛ فضرب وطيف به فى المدينة ٠

وذلك كله لما فى عنقه من بيعة لم يرد أن ينقضها لهواهم ٠

وفى الحق ان الحـديث عن الممتحنين فى تاريخ الاسلام ، هو الحديث عن معـارك الحرية الفكرية والاجتماعية فى هذا التاريخ وسجل المقاومة الكبرى لاصحاب السلطان الباطش والهوى الجامح » ٠

***

والمهم ليس سرد المواقف الماجدة لاصحاب القلوب الكبيرة الذين ينعم بهم القدر على أمم شتى ٠

ومع أن سعيدا ؛ والاوزاعى ؛ وأباحنيفة ، ومالكا وأمثالهم رجال صنعهم الاسلام أولا وآخرا؛ فسيرتهم شهادة صدق على أنه يصنع حماة الحق ؛ وأئمة الجهاد والتضحية الا أننا نؤثر اظهار ما يؤدية الجنـود المجهولون فى ميدان الكفاح الادبى لاعلاء قدر الايمان والعدالة ٠

وآثار هؤلاء هى التى استبقت الجماهير على كر العصور ، تحتقر الجور ؛ والفسوق والعصيان ؛ وتكن العداء ؛ أو تعلنه للمارقين عن أمر الله ٠

لقد طوى زمان الحكم الفردى فى الازمنة القديمة شعوبا غفيرة ، ووجد الاكاسرة والقياصرة والفراعنة يحكمون بلا معقب لحكمهم ٠

ونضح هذا على بلاد الاسلام ــ للاسف ــ فى شكل توارث الخلافة ، وهو توارث دخيل على تعاليم ديننا بلا مراء ٠

بيـد أن الائمة المبرزين ، والعلماء المذكورين والمغمورين ؛ والالوف المؤلفة من الرجال الغامضين ؛ أقاموا من روح الاسلام ، سياجا يكفكف هذا الشر ؛ ويقلم أظفاره ؛ ويقوم الى حد بعيد مقام مجـالس الشورى التى انتظمت هيئاتها فى العصور الحديثة ٠

فليس للملوك حق الهى يسيطرون باسمه على الناس ؛ وكم من خليفة خلع ، وسجن ؛ وقتل ٠ ثم ان الاسلام ألقى كلمته فى الاصول والفروع ؛ فاذا خطب الخليفة قبل صلاة العيد قيل : أخطأ الخليفة٠

واذا أخذ مالا ليس له قيل : غصب الخليفة ٠٠٠

ان معالم الحلال والحرام التى شرحها الاسلام للخلق كافة حددت المنازل والقيم • فمن انتهى اليها فهو عبد صالح ••• والا فهو خارج على دين الله ولو كان أمير المؤمنين •

وادراك هذه المعالم شاع بين الكبار والصغار والخاصة والعامة •••

ربما كانت قضايا الفقه وقواعد التشريع من اختصاص العلماء الدارسين •

اما قضايا الاستقامة والعوج ، والعدالة والحيف؛ والتقوى والفجور ؛ وأما الفرائض الجامعة؛ والشعائر الواضحة •• فتلك كلها أمور يعرفها العامة ، ويحكمون على الملوك والسوقة فى ضوئها حكما قريبا

ونترك عصر الائمة الاربعة واصحابهم والايام اللامعة الاولى ونقفز اثنى عشر قرنا من تاريخ الاسلام فماذا نجد ؟ نجد علماء الدين يجتهدون فى المحاماة عن حقيقة الدين وحقوق الناس كلما حاولت أهواء الاقوياء طمرها •

ويحسبون كأنهم نواب عن الجماهير ، فى ضمان مصالحهم واقرار العدالة التى ينشدونها •• ففى أوائل القرن الثانى عشر للهجرة • وبعد ما اشتدت وطأة الحكم الفردى نسمع ان أهل الاسواق اصابهم غبن من وراء تزييف النقود فاجتمعوا ودخلوا الجامع الازهر وشكوا أمرهم الى العلماء وألزموهم بالركوب معهم الى الديوان - مقر الوالى التركى - فأمر الباشا بعقد اجتماع حضره الأمراء وضباط الجيش استقر رأيهم على خطة محددة أزالت الشكوى•

وفى سنة ١١٤٨ نسمع أن الخليفة العثمانى أصدر أمره بابطال بعض المرتبات التى كانت تصرف فى وجوه البر العامة • فلما قرىء على العلماء المرسوم الصادر بذلك قال الشيخ سليمان المنصورى معترضا على تصرف السلطان : « ان ذلك لا يسلم له ويخالف أمره لأن ذلك مخالف للشرع ولا يسلم للامام فى فعل يخالف الشريعة » وعدلت الحكومة عما عزمت عليه •

وكان الشيخ على الصعيدى يقول لمحمد بك أبى الذهب - الوالى فى عهده - اتق النار وعذاب جهنم ثم يمسك بيده ويقول : أنا خائف على هذه اليد من النار !!!

وفى أيام ابراهيم بك الكبير وعلى بك الكبير عصفت برءوس الحكام نزوة جعلتهم يستكبرون بالباطل ويفتاتون على الناس ويفرضون هواهم ويدرسون القانون • قال الاستاذ محمد فريد أبوحديد : فأدرك العلماء أن واجبهم يناديهم - وهم ممثلو الشعب والطبقة المستنيرة منه - بالمحافظة على القانون والحق ولم يترددوا لحظة بل هبوا لنداء الواجب وتصدر فيهم زعيم اسمه (الشيخ الدردير) رحمه الله وطيب ثراه فأرعد الامير المدلل وأبرق وأرغى وأزبد وتهدد وتوعد فوقف العلماء وثبتوا وأرغوا وأزبدوا كذلك• وقام الشعب من ورائهم يؤيدهم وكانت مظاهرة كبرى فأغلق الناس حوانيتهم لينظروا مآل النضال بين الحق والقوة • واوشك الامر أن يؤدى الى فوضى شاملة لولا أن جزع عقلاء الامراء من ذلك الاضطراب واشفقوا من تلك الحال فاجتمعوا وتشاوروا • ثم أرسلوا الى الامير المعاند فلاموه على وقفته وامروه بالنزول على ما أراد القانون فأذعن وهو كاره بعد مشادة عنيفة ولم يرض العلماء أن يدعوا الامر يتفلت من ايديهم بغير حق مسجل يكتسبونه للناس فطلبوا أن تكتب لهم وثيقة بالحق المكتسب وكتب لهم صلح رسمى به شروط على الامراء وتعهد من الحكام بالتزام مايقضى به القانون ويحتمه العرف •

واعتدى مرة موظف ادارى (الوالى) على بعض أهل الحسينية واشتد فى مطالبة قصاب اسمه أحمد سالم باموال الحكومة واراد القبض عليه بغير حكم شرعى مخالفا فى ذلك حقا كان أهل مصر قد اكتسبوه من قبل الا يمس أحد منهم الا على مقتضى الشريعة فثار أهل الحسينية لذلك الاعتداء والتجأوا الى الشيخ العروسى (وكان الشيخ الدردير قد توفى الى رحمة ربه) فقام الشيخ العروسى بأمر الوساطة فى شأن الشعب وانتهى الامر الى مشادة طويلة خاف الأمراء عقباها • فنزلوا عند ارادة الثائرين وعزلوا الوالى وولوا آخر بدله ونزل الوالى الجديد من الديوان الى الازهر وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ورأى أهل مصر أن حقهم لن يضيع ما داموا حريصين على المحافظة عليه »

ولا نتتبع أمثال هذه الحوادث بالسرد والاستقصاء وانما نقرر الخلاصة التى نحب أن تتضح فى الافئدة والعقول » أن الايمان الحق يتقاضى أصحابه أن يصونوا المجتمع وأن يوطدوا فيه شعائر الفضيلة والعدالة والأمان » وتلك خاصة لم تحرم منها الأمة الاسلامية فى عصر من الاعصار •

محمد الغزالى

مسرح عزيز أباظة

للأستاذ علي متولي صلاح

هل يمكن أن نعتبر عزيز اباظة خليفة لشوقى فى تاليف المسرحيات الشعرية ؟ .. واذا جاز لنا ان نعتبره خليفة له فالى اى مدى يكون ذلك هل تقدمه فى هـذا المضمار أم تخلف عنه أم وقف منه موقف المحاذاة والتساوى ؟

لقد ظهر عزيز أباظة بعد وفاة شوقى باكثر من عشر سنوات ، وظهر يؤلف المسرحيات الشعرية التى كان شوقى الرائد الأول لها ، واستقى من نفس النبع الذى استقى منه شوقى واعتنى به التاريخ العربى والتاريخ المصرى .. ثم جاءنا اخيرا بمسرحية مستمدة من حياتنا المعاصرة وهى مسرحية « أوراق الخريف » كما فعل شوقى تماما عند ما جاءنا بالمسرحية المعاصرة « الست هدى » ... ولم يكتم عزيز أباظة انه يتاثر خطوات شوقى ويهتدى بهديه عندما أهدى اليه مسرحيته « شجرة الدر » بقوله :

« الى شوقى الخالد ازجى اثرا من هديه ونفحةمن وحيه » ...

ومما لا شك فيه أن عزيز أباظة اراد أن يسد الثغرة التى أوجدتها وفاة شوقى ؛ وأن يملأ هـذا الفراغ الكبير ، وشجعه على ذلكأن مسرحيات شوقى كانت لا تزال تجد صدى كبيرا فى نفوس الناس وتلقى ذيوعا وانتشارا فى البلاد العربية ، فترك الشعر التقليدى — الذى كان قد ظهر له فيه ديوان عقده كله على رثاء شريكة حياته وأسماه « أنات حائرة » — الى تاليف المسرحيات الشعرية التى كانت باكورتها مسرحية « قيس ولبنى » كما كان من بواكير مسرحيات شوقى مسرحية مجنون ليلى التى تدور حوادثها بين « قيس وليلى » !

وهو اتجاه لا لوم فيه على عزيز أباظة ولا تثريب بل هو عمل محمود له ، وليس عليه من باس اذا عالج تاليف المسرحيات الشعرية كما عالجها شوقى من قبله ؛ ولكن المهم هو أن نعرف طريقته فى ذلك ! ومدى نجاحه فى تحقيق ما أراد .

اما طريقته فى كتابة المسرحيات فنأخذ منها مثلا طريقته فى « لغة » هذه المسرحيات التى أوضحها هو نفسه فىتقديمه لمسرحية « أوراق الخريف » حيث يقول : —

« وكانت خطتى أن أعالج مسرحياتى السابقة عند الفراغ منها ببعض عمليات التجميل . فكنت ارفع كلمة لأضع فى مكانها كلمة أراها أرشق منها وكنت أعنى بنصاعة الأسلوب وجمال الجرس عناية بالغة ، وكنت أوائم بين الكلمة تقع بين الكلمتين . والفقرة تنساب بين الفقرتين حتى تجمع بين أطراف الأسلوب كله وشائج رابطة تحكم أسره وتقر الاستواء بين مقاطيعه . وكنت أسقط الكلمة الأنيقة اذا احسست أنها متداولة تداولا يضفى عليها ظلال الابتذال ، وكنت كلفا باخراج الفاظ شريفة من خدورها لأمهد السبيل الى استخدامها فى محيط الطلبة والناشئين من الأدباء ولأمد هؤلاء بما يضيف الى نطاق محصولهم من المفردات والمترادفات » .

ولكنهذه الطريقة تجعل بينصاحبها وبين التاليف المسرحى ما يسميه علماء البلاغة « كمال الانقطاع » !

فليس المؤلف المسرحى بالذى يجعل كل همه فى العناية بالألفاظ والكلمات ، وليس هو بالذى يقدم للطلبة والناشئين المفردات والمترادفات ، ... بل ليسهو بالذىيرى أن «اللغة» فى المسرح (غاية) ولا ينظر اليها على أنها مجرد (وسيلة) فقط .

ولقد تمكنت هذه العقيدة من عزيز أباظة تمكنا استبد عليه أمره واضاع جدوى مسرحياته وخرج بها عن نطاق المسرحيات وأحالها الى قصائد تموج بالغريب من الألفاظ التىبليت فى بطون المعاجم مما جعل البعض يصفون عزيز أباظة بان لديه «عقدة» متمكنة من نفسه لا يجد له منصرفا عنها سموها عقدة (المعلقات) !

وهو فى هذا يختلف عن شوقى اختلافا كبيرا فقد برئت مسرحيات شوقى من حوشى الألفاظ وغريبها ولم تورد الا الكلمات الواضحة المأنوسة — مع ارتفاع شعرها وسموه — ولهذا فانها كانت فى غير حاجة الى ذلك الشرح الذى يشبه ما يسمونه شرح المفردات » فى كتب المطالعة التى بأيدى التلاميذ !

ومن عجب أن عزيز أباظة يفعل ذلك طواعية واختيارا دون أن تضطره الى ذلك ضرورة شعرية كما قد يتوهم البعض ، ولكنه لا يرضى ولا يرتاح له بال الا اذا جاء بالكلمات الصعبة النابية مع أن بين يديه الكلمات السهلة اليسيرة المفهومة التى لو

وضعت فى نفس موضع الصعبة لظل الوزن الشعرى سليما ! ومن أمثلة ذلك قوله :

كذاك تغين أحلام الغضاب

ولو قال :

كذاك تضل أحلام الغضاب

لاستقام الوزن مع سهولة اللفظ ووضوح معناه لأن معنى اللفظين واحد !

اما الألفاظ الغريبة التى تنوء بها خشبة المسرح فان المجال هنا أضيق جدا من أن يتسع لها لكثرتها وانتشارها فى كل صفحات المسرحيات وسنكتفى هنا بعرض نماذج قليلة دون أن نشرح معانيها ليمتحن القارىء ـ أى قارىء ـ نفسه ويرى كم سيفهمه منها اذا ألقى عليه على ألسنة ممثلين يتكلمون سريعا وليس بين يديه معجم يرجع اليه ولا يملك من الوقت ما يمكنه من ذلك الرجوع ! ٠

ومن تلك النماذج قوله عن الاسلام : ـ

تكاد عراه فى الجزيرة تنطوى
وتنقد أشطان له وطنوب

وقوله فى مخاطبة أحد الملوك : ـ

اذا ند عنك اليوم بارح كيدهم
فانك مفروس غدا فمتبر
وان مطاياهم لتكرم وسقا
فان أبلغتهم ... جدلوها وعقروا

على أننا نحب أن ننبه هنا الى مسألة هامة تتعلق بلغة المسرح .. فقد أخذ بعض النقاد على عزيز اباظة انه أجرى تلك الكلمات الجزلة الضخمة على لسان بعض نساء مسرحياته مما لا يتصور صدوره منهن لأنهن أضعف من أن يجرى على لسانهن هذا الكلام الفصيح الفخم ! ومما يجعل مواقفهن غير « واقعية » ... والحقيقة غير ذلك لأن الواقعية فى المسرح هى ما يسمونه « الواقعية النفسية » وليست « واقعية الأداء اللغوى » ٠

ذلك أنه من الواجب أن تسود المسرحية لغة واحدة ينطق بها كل من يتحرك على خشبة المسرح دون نظر الى ثقافته او الى مركزه الاجتماعى أو لهجته الاقليمية ، فلا ندع واحدا يتكلم بالفصحى وثانيا بالعامية المصرية وثالثا بالمغربية ورابعا بالشامية وخامسا بالصعيدية ... وهكذا حتى يصير الأمر فوضى لا نظام لها ولا حدود تقف عندها

وتكفى فى المسرح « الواقعية النفسية » وهى الا يجرى على لسان شخصية مالا يتصور العقل صدوره منها من أفكار او معلومات أو احساسات ، بل يجب أن تقف عند حدودها العقلية والذهنية ولا تتعداها ، فلا يجوز مثلا أن نجرى على لسان خادم فى « دوار » عمدة حديثا عن الجاذبية كما فعل فتحى رضوان فى مسرحية « دموع ابليس » ٠

ويبدو أن هجمات النقاد العنيفة على لغة عزيز أباظة اضطرته الى ان يخفف ـ كارها كما يقول ـ من غلوائها ويهبط بها قليلا لتدنو من افهامنا ولتكون بحق لغة المسرح ، وهو قد فعل ذلك برما به ضيقا به أشد الضيق ؛ ولم يعتبر ذلك عملية « تبسيط » ولكنه اعتبره ووصفه بانه عملية « تشويه » ! ولكننا نرى ان المسرحية التى اجرى بها ذلك وهى « أوراق الخريف » خير مسرحياته على الاطلاق وادخلها فى نطاق المسرحيات الصحيحة ، بل اننا نراها فى حاجة الى المزيد من التبسيط حتى يستطيع الناس جميعا متابعتها والانتفاع بها على الرغم مما ذهب اليها البعض من أنها استعملت التعابير العامية المبتذلة التى لا تجوز فى الشعر ، وقد نسى هؤلاء أنه شعر المسرح وليس شعر الخطابة او الأبراج العاجية ٠

وفى مسرحيات عزيز أباظة ظاهرة مضطردة هى ولعه الشديد بالخطابة واسرافه فيها كثيرا وخصوصا فى ختام الفصول بكلام خطابى او حكمة تستدر التصفيق الطويل كقوله فى ختام المشهد الثانى من « غروب الاندلس » مثلا : ـ

من لم يدعم بالأسنة ملكه
والحزم بات مفزعا لم يسلم

وفى ختام المشهد الذى يليه منها :

الله ان أخذ القرى بفسوقها
عصف الخلاف بها فكان قضاء

وهكذا مما يؤكد تلك الظاهرة .... والخطابة حماسة وقتية لا تلبث أن تزول وينمحى أثرها ، وخير منها ذلك التأثر الثابت المكين الذى يحدثه الامتلاء بالفكرة بعد روية وادراك ..

كما تلاحظ ظاهرة ثانية فى مسرحيات عزيز أباظة وهى كثرة ما يعرض من أفكار ومن حقائق يضل معها العقل ولا يستطيع أن يتركز فى موضوع منها .. والمسرح ليس معرضا وليس موكبا للمعلومات والمعارف والقضايا التى يلى بعضها بعضا وانما هو « لقطة » واحدة تبدأ كالجنين الذى يولد ثم يمشى على اربع ثم على اثنين ، ويظل ينمو وينمو دون أن

المهن والمجتمع العربى
بين مستشرق وعالم عربى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

ليس منا من لا يعرف المستشرق الانجليزى ادوار وليم لين ، الذى اشتهر بكتابه الطريف « المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم » ذلك الكتاب الذى صور المجتمع العربى فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وكان تصويره للمجتمع المصرى بالغا الحد فى الدقة والتغلغل الى صميم الحياة المصرية ، فقد قضى الرجل فى مصر بضعة عشر عاما على ثلاث رحلات متعاقبة ، وخالط المصريين مخالطة قريبة لاصقة ؛ وتزيى بزيهم ، وتحدث بلسانهم ؛ حتى لقد كان يدعى بينهم : منصور افندى .

ولا يهمنا من نواحى المستشرق لين المتعددة مثل ما يهمنا كتابه عن عادات المصريين ، وندع معجمه العربى الانجليزى الكبير ؛ الذى طبع منه فى حياته خمسة مجلدات ؛ وتولى اتمامه بعد وفاته قريبه المؤرخ المستشرق المشهور « استانلى لين بول » الذى اشتهر بكتابه فى « سيرة القاهرة » .

والواقع أن كتاب « ادوار وليم لين » عن المصريين وعاداتهم يعد مصدرا هاما لمن يريد الكتابة عن المجتمع العربى المصرى ؛ فلم يترك الرجل ناحية الا صورها ، ولم يدع عادة من أخص العادات فى مصر الا ذكرها ووصفها فى اجمال مرة وفى تفصيل مرة أخرى ، حتى لنجد فيه أوصافا وصورا فاتنة طريفة لزفة العروس مثلا ، أو زفة ختان الاولاد ؛ وهما مشهدان لا تزال منهما بقية باقية مع فرق فى التفاصيل بين عصر وعصر ؛ وأين من مشاهد أوائل القرن التاسع عشر الميلادى مشاهد النصف الثانى من القرن العشرين ؟

ولقد عاش غير بعيد من عصر المستشرق الانجليزى

تتداخل فى ذاته ذات أخرى حتى يبلغ نهاية المرحلة بعد أن يكون قد استوى ووضحت معالمه وقسماته النفسية والجسمية معا ولم يعد شىء فيه خافيا ..

وتلاحظ أيضا ظاهرة ثالثة فى تلك المسرحيات ، وهى أنه على الرغم من كثرة عددها وتنوع حوادثها فاننا لم نر فيها جميعا الا شخصيات باهتة غير مضيئة .. لم نر فيها جميعا شخصية كشخصية « فولستاف » الحية الممتازة التى تبلغ الذروة فى الجد والفكاهة معا فى رواية « هنرى الرابع » . أو شخصية مثل « بروتس » الخالدة التى ما تفتأ تثير فى النفوس عاطفة الانتقام فى رواية « يوليوس قيصر » ...

ذلك لأن شاعرنا الكبير جعل كل باله الى الشعر وحده ولم يلق الى تلك الشخصيات شيئا منه ايمانا منه بأن الشعر أولى !

وظاهرة رابعة نلحظها كذلك، وهى اهتزاز المواقف بين يدى المؤلف لانه لم يولها العناية الكافية ، فشهر زاد – مثلا – تدخل على الملك دون أن يعرف من هى ! .. ثم يقوم الحوار بينه وبينها – فى نفس اللحظة – قويا شديدا مليئا بتأنيبه ورميه بالضعف والعجز والمكابرة .. ثم يسألها الملك بعد ذلك كله عن اسمها .. ومن تكون .. ومن يكون اهلوها !

وأختها « دنيازاد » ترقص بين يدى الملك وهى ابنة وزيره الاول مما لا يتصور العقل حدوثه فى بيئة اسلامية .

وتخاطب « شهر زاد » – وهى التقية الصالحة – أباها فترميه بالسفه وسوء القول والعجز والهوان !

وينقلب « شهريار » فجأة الى متصوف زاهد وكان ينبغى أن يكون ذلك على مراحل تمهد الواحدة منها للاخرى .

ولكن هذه الوقفات القصيرة التى وقفناها مع مسرحيات عزيز أباظة ليس معناها انها غير صالحة وانها لا نفع منها لنا .. نحن لا نقول بهذا انما نقول انها – كمسرحيات شوقى – ثروة كبيرة لنا يجب أن نفيد منها فى تطوير فنوننا وبخاصة فن الغناء وفن الأوبرا وان توليها وزارة الثقافة والارشاد القومى العناية والرعاية اللذين طالبنا بهما لمسرحيات شوقى مع فارق واحد وهو أن نخلصها أولا من كل ما بها من غريب الالفاظ .. ثم نحولها بعد ذلك – بشىء من التعديل – الى « أوبرات » تملأ حياتنا الفنية نضارة وبهاء . ثم يواصل عزيز أباظة بعد ذلك سيره فى انتاج هذه الأوبرات فيفتح بها للفن عندنا فتحا جديدا يشبع قلوبنا نحن الشعب الغنائى الطروب .

على متولى صلاح

« لين » عالم عربي من أسرة دمشقية عرفت بالعفة والصلاح: ذلك العالم هو الشيخ محمد سعيد القاسمي والد الفقيه المصلح المجدد الامام جمال الدين القاسمي صاحب التفسير الكبير المسمى « محاسن التأويل » الذي نشرته احدى دور النشر العربية مؤخرا في بضعة عشر جزءا ، ووالد المرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي الذي كان صوته من الاصوات القوية الاولى في فكرة القومية العربية . فقد كان احد دعاتها وروادها الاوائل ، وكان يرجى منه في ميدانها خير كثير ، لولا ان المنية عاجلته وهو في التاسعة والعشرين أو الثلاثين من عمره .

ولم يكن بين كتاب ادوار وليم لين عن عادات المصريين وحرفهم ، وكتاب العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد القاسمي الا بضعة عقود من السنين . ولكن كتاب القاسمي لا يتحدث عن عادات وشمائل وانما يتحدث عن صناعة وصناع . فهو يعطينا صورة صحيحة عن الصناعات والحرف واصحابها واخلاقهم وعاداتهم في المجتمع العربي بالشام في نصف القرن الماضي . ولكنه حين يصور أهل الصناعات ويصفهم على ادق ما يمكن أن يوصف به صاحب صناعة . فانه يتحفنا بامدادنا بصور طريفة للمجتمع العربي في الشام جملة ، فانك لا تستطيع أن تنزع أهل الصناعات والمهن من مجتمع برمته ؛ لانهم يشكلون في تفصيلهم وعددهم عددا لا بأس به من المجتمع ؛ ولان تصوير حرفهم انما هو في الحق تصوير لأزياء المجتمع وسكنه وطعامه وشرابه وأفراحه وأحزانه وسلاحه .

وما ظنك بكتاب يتحدث عن ست وعشرين وأربعمائة صناعة وصانع ، ما بين طباخ ، وعجان ؛ وعقاد ؛ وقزاز ؛ ومخللاتي ؛ وحمامي ؛ ونقانقي (أي بائع السجق) ورمال — أي ضارب بالرمل ؛ وعباب (أي بائع للهباب لاستخدامه في الصباغة) ؛ وضفادعي (أي بائع للضفادع) ودمشق معروفة ببيع الضفادع منذ القرن الماضي ، فان هناك من يستطيب اكلها ويدفع فيها ثمنا أكثر من ثمن لحم الضأن ..

واذا كانت الكتب العربية التي تصور المجتمع العربي في خلال العصور نادرة — لاهتمام المؤرخين بالتاريخ السياسي والعسكري للحكام والملوك — فان كل كتاب يصور لنا ناحية من مجتمعنا العربي يعد اضافة ذات قيمة الى المكتبة العربية . ومن هنا كانت فرحتنا شديدة بأمثال كتب خطط المقريزي ، ونهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزري ، والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري للمستشرق آدام ميتز ، وتاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ، وكتب الرحالين التي تعرض لنا لمحات من المجتمع العربي تمد الباحث بما قد يحتاج اليه لاستكمال صورة شاملة عن المجتمع كله . ومن هنا ايضا كان كتاب المستشرق « لين » ذا خطر في هذه الناحية . كما يعد كذلك كتاب « قاموس الصناعات الشامية » في جزءيه الكبيرين ، الذي وضع الاساس الاول في تاليفه المرحوم محمد سعيد القاسمي ، وأكمله بعد وفاته ولده الامام جمال الدين القاسمي وشريك له من أصهاره .

ولما كانت الفترة التي صور فيها سعيد القاسمي وأدوار لين كتابيهما غير بعيدة ، بل تدخل احداهما في الاخرى على التقاء منتصف من القرن الماضي فان الموازنة بين بعض الملامح الصناعية والحرفية في الكتابين تعطي القارىء كثيرا من وجوه الالتقاء والافتراق في التعبيرات والتسميات تارة ، وفي الحرف نفسها تارة ثانية ، وفي العادات التي يحكمها العرف السائد المحلي تارة ثالثة . ولنأخذ مثلا حرفة « السقاء » في مصر « الرشاش » في الشام ؛ فهما حرفتان تكادان تكونان شيئا واحدا وأداتهما شيء واحد ، وهي القربة من الجلد التي يحملها كل منهما على ظهره . الا أن « السقاء » يسقي الناس في مصر ، ويوزع المياه العذبة على طلابها في البيوت والدكاكين « والوكالات » وما اليها ، أما « الرشاش » في دمشق والشام ، فلم يكن للناس حاجة الى من يسقيهم الماء لقرب مناله من ايديهم ، ففي كل بيت تقريبا جدول أو مجرى ماء . لهذا كانت الحاجة الى من يرش الماء في الاسواق التي أرضها من تراب لئلا يصعد الغبار الخارج من الارض ، بسبب المشي ، من كثرة المارين فيشوه البضائع ...

ولهذا نجد حرفة « السقاء » مما كان يتميز به المجتمع العربي المصري لبعد النيل — نوعا ما — عن البيوت ؛ على حين لا نجد للسقاء وجودا في مجتمع الشام ؛ ونجد مكانه « الرشاش » الذي يرش أرض الاسواق والطرقات بالماء حتى لايثار غبارها . وقد لفتت صورة « السقاء » في مصر نظر المستشرق « لين » فقال : (مياه الآبار في القاهرة مشوبة بالملوحة ، فيجلب السقاءون الماء من النيل للسكان ، متعيشين من هذه المهنة ... وهم ينقلون الماء في مزادات من الجلد على الجمال والحمير ، وقد يحملونه على ظهورهم في قرب صغيرة ؛ لمسافات قريبة ... ويسمى ما يحمله الحمار قربة ، وتكون القربة من جلد الماعز ،

ويحمل السقاء كذلك قربة من جلد الماعز اذا لم يملك حمارا) ولا يفوت المستشرق أن يلاحظ حتى نداء السقاء وهو يصيح : «يعوض الله» فيفعل هذا الهتاف على مروره . أما صورة « الرشاش » التى صورها العالم سعيد القاسمى فهى : (يتخذ الرشاش قربة، ويملؤها من أحد السبلان التى فى السوق ، ويرش الماء يمنة ويسرة من جهة الدكاكين ، ثم ان كان الوقت صيفا يرش السوق مرتين مرة عند الصباح قبل فتح الدكاكين ، ومرة فى وقت الظهر ؛ وذلك لكثرة الغبار ايام الصيف ؛ وان كان الوقت شتاء فيرش مرة واحدة وذلك بعد كنس الاسواق عند الصباح ، لقلة الغبار ايام الشتاء ، وله على كل دكان شيء معلوم ؛ يجمعه فى كل شهر ؛ ويتعيش به) .

ومن صور المقارنات اللطيفة بين الكتابين صورة « القصاص » أو « الشاعر » فى القهوة المصرية ، و « الحكواتى » فى القهوة الشامية ... فالمستشرق الانجليزى « لين » يصور لنا « القصاص » المصرى ، وهو يجلس فوق مقعد صغير بأعلى المصطبة المقامة بطول واجهة المقهى (ويجلس بعض السامعين الى جانبه ، بينما يجلس البعض الآخر على مصاطب المنازل المقابلة فى الشارع الضيق ، والباقون على مقاعد من الجريد ؛ وأكثرهم يدخن الشبك ، وبعضهم يرتشف القهوة) . والعالم العربى القاسمى يصف لنا « الحكواتى » الشامى قائلا : (وله فى كل قهوة وقت مخصوص لالقاء الحكايات ، وغالب اوقاته بعد المغرب ، وبعد العشاء . فيجتمع الناس فى القهوة وتصغى لقوله مع السرور والانبساط) .

والفرق بين المستشرق والشرقى ، والانجليزى والعربى فى تصوير ملامح المجتمع العربى . ان الاول يسجل ما يرى ولا يعنيه أن يعلق ، وقد يجافى الحق والذوق اذا علق ، أما العربى فانه يقول رأيه فيما لا يعجبه من صور المجتمع فى بلاده ، فيقول القاسمى مثلا عن صناعة القصاص أو الحكواتى فى المقاهى : (وبالجملة فهى صنعة رائجة جدا ، لان غالب الناس مكبون على استماعه أكثر من انكبابهم على العلم ، وهذا من الجهل المفرط) . ويبدو لنا ان القاسمى غير راض عن حرفة فيها مضيعة للوقت بصرفه الى ما لا جدوى منه ولا خير فيه .

ولم يكتف الشيخ سعيد القاسمى بابداء رأيه فى حرفة القصاص وعدم جدواها ، بل نجده — وهو يتحدث عن حرفة « القهوجى » — يحمل عليها قائلا: (وعلى كل حال ، فلا يدخل تلك القهاوي من كان ذا شهامة أو عقل أو دين، حيث أنها مجتمع الاسافل والاراذل) ثم لا يكتفى بذلك بل يستحضر أبياتا — على ضعف نسجها — للشيخ العلمى يحذر فيها من دخول القهاوى قائلا :

واحذر دخولك للقهوات ان بها جل الفواحش مع كذب وغيبات
كم قهوة اصبحت للهو جامعة وكم بلايا بها لاهل الديانات
كمحنة شغلتهم عن بيوتهمو وعن صلاة وأوراد ، وطاعات

أما المستشرق لين فيصف فى كتابه القهوة المصرية قائلا : (فى القاهرة أكثر من ألف قهوة ... ويرتاد المقاهى أفراد الطبقة السفلى والتجار ، وتزدحم بهم عصرا ومساء ، وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ، ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه ... ويحتفظ القهوجى أيضا بعدد من آلات التدخين من نرجيلة ؛ وشيشة ؛ وجوزة)

ومن الصناعات التى نجدها مشتركة بين كتاب المستشرق لين ، وكتاب سعيد القاسمى ، أو بين مصر والشام صناعة « الفوال » ؛ فقد وصفه لين ووصف أكلته ، قال عنه : انه « يدمس بانضاجه على مهل ليلة بطولها فى اناء من الفخار ، يدفن الى رقبته فى نار الفرن أو الحمام ، بعد أن تسد فوهته سدا محكما ويؤكل الفول بزيت بذر الكتان أو بالزبد، وقد يعصر عليه قليل من الليمون ، اما العلامة سعيد القاسمى فقد وصفه بقوله : « يضع محترفه كمية من الفول اليابس فى جرة من فخار ، ويضع عليه ماء يغمره ؛ ويضيف الى ذلك الماء رائق ماء مسحوق القلى ؛ ويدفنه فى تنور الحمام من المساء الى الصباح ، ويشترط أن لا يكون التنور سخنا جدا ؛ والمراد بالتنور هو رماد الزبد الموقد فى القميم؛ ويعرف ذلك الرماد «بالقصرمل» وذلك الرماد حينما يخرج من الموقد يكون فى غاية من الحرارة ، فتدفن فيه تلك الجرة المعروفة «بالقدرة» ليلا ؛ لينضج الفول المودع فيها؛ وعند الصباح تخرج تلك الجرة ، حيث يكون الفول قد نضج فيأخذه لدكانه ... »

وهكذا لو اخذنا « البواب » و « الشربتجى »بلغة الشام أو الشربتلى بلغة مصر ، « والزين » و«البلانة» و « المطاهر » الذى يختن الاولاد وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات لوجدنا مفارقات لطيفة تدلنا على خصائص محلية فى المجتمع العربى ، وهى خصائص وفروق توجد حتى بين أهل الاقليم الواحد ؛ كما نجد فى الفروق بين أهل الوجه البحرى والوجه القبلى من مصر ؛ وبين أهل سكوتلاندة وأهل ويلز من سكان الجزر البريطانية ...

محمد عبد الغنى حسن

مأساة أديب ومكرمة وزير

في العام الماضي ، وخلال ايام مهرجان الشعر بالاسكندرية على وجه التحديد ، أثار الاستاذ كامل الشناوي في مقال له : مأساة أديب شاعر ، تعرض لمحنة ساقتها اليه قسوة الزمن ، فاغلقت دونه كل أبواب الرزق ، ولم تكد تبلغ مأساة الاديب مسمع السيد الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد القومي ، حتى بادر فأمر بايجاد عمل للاديب الممتحن في مصلحة الاستعلامات يوائم ظروفه الصحية ؛ ويدفع عنه غائلة مأساته ؛ ويصون له كرامة الاديب الحريص عليها حرصه على نفسه ذاتها .

كان هذا الاديب هو الشاعر محمود ابو الوفا ..

***

ومنذ أيام معدودة أثار الدكتور لويس عوض في مقال له على صفحات الاهرام مأساة أديب ناقد يتعرض لمحنة في عنفوان قسوتها ، جمعت بين الازمة الصحية والازمة المادية ، فشكلتا أزمة نفسية أقوى من أن يحتملها انسان له طاقة محدودة من الصبر والاحتمال .

وبقدر ماهزت مشاعرنا مأساة الاديب الناقد الذي كان الى عهد قريب مدرسة في النقد الادبي قائمة بذاتها ، هزت مشاعرنا أيضا اريحية السيد الوزير ، حين أضاف مكرمة الى مكرماته ، فأمر بمجرد أن بلغته المأساة بمنحة مالية للاديب وبعلاجه على حساب الدولة ، وبوصل رزقه الذي قطع عنه وهو في ذروة مأساته .

وكان هذا الاديب : هو الكاتب الناقد الاستاذ أنور المعداوي ..

***

انا مطمئنون كل الاطمئنان الى أريحية الوزير الاب الرحيم لكل فنان او أديب يتعرض لمحنة تبلغ مسمعه ، ولكن المشكلة ليست مشكلة الاديب الشاعر او الاديب الناقد وحدهما ، فهناك أدباء قد يتعرضون اليوم أو غدا لمآس ومحن ، وقد لا يجد البعض منهم من يبلغ عنه مسمع السيد الوزير محنته؛ كما قد يحول حياء البعض منهم ايضا دون بروزها على صفحات الصحف، ويؤثر أن يواجه محنته على حساب أعصابه على أن يهز مشاعر واحساسات القراء نحوه .

فماذا نفعل نحو هؤلاء ؟

الحل الوحيد هو أن يكون للادباء اتحاد يضم شملهم ، ويتكفل بانتشالهم من اية محنة يتعرضون لها ، ولا يرى في هذا تفضلا منه عليهم ، بل حقا مقدسا لهم عليه .

أليس مما يحز في النفس ، أن نرى ندوات أدبية تعقد في بعض المقاهي؛ وأخرى تعقد في بعض الحدائق العامة ، وثالثة تعقد في بعض المساكن الخاصة .. وما الى ذلك ؟؟

ان الفئة الوحيدة التي لها عدد غير قليل من النوادي والجمعيات ، ولكن ليس لها اتحاد يجمعها ويرعى مصالحها ، هي فئة الادباء وربما كان هذا راجعا الى أن الادباء متوزعون في عدة نقابات حسب وظائفهم الاساسية ، ولكن هناك أدباء متفرغين يزيدون على الحصر، متوزعين هنا وهناك روادا للمقاهي أو ضيوفا على النوادي ، فلماذا لا يكون هؤلاء نواة لاتحاد يضم شمل الاديب ويطمئن حياة الادباء ! .

***

ان مكرمة السيد الوزير التي لم تحل الحوائل بينها وبين أديب أو فنان مر بمأساة أو تعرض لمحنة، هي وحدها التي تستطيع اليوم أن تحل المشكلة ، وتقيم بناء يكون بمثابة صرح للادب تقر به عيون الادباء ، لانه سيتدارك كرامتهم كلما تعرضت لمحنة او مأساة ..

الرسالة

دعاء

للأستاذ حسن جاد حسن

يا سميع الدعاء للسائلينا ـ ومجيبا ضراعة الضارعينا
يا مغيث الملهوف ، ياكاشف الضر عن اليائسين والبائسينا
يا نصير المظلوم ، يا قاهر الظالم يا ملهم الحيارى اليقينا
فرج الكرب عن عبادك يا رب واطلع سناك للمدلجينا
واجل هذا الليل الطويل بفجر يهتدى فى ضيائه الحائرونا
نفحة من رضاك : ومضة اشراق ترد المنى الى اليائسينا
ماجت الأرض بالشقاء فأمست تفعم الافق صيحة وانينا
وجفاها السلام حتى لقد بات بنوها واصبحوا خائفينا
وغدا المسلمون فيها يتلمى من شتات اذلة صاغرينا
يترامون فى الممالك اشلاء وكانوا اعزة فاتحينا
أين سلطانهم ؟ وأين جلال كان يعنو لمجده الشامخونا ؟
كرب مالها سواك لقد استعصت واعيت عبادك العاجزينا
وهموم كأنها ظلل الموج غدونا فى لججها مغرقينا
وظلام يطوى النفوس على اليأس طغى ليله فاعمى العيونا

ورجاء يموت اثر رجاء   ودعاء لا يسعف الداعينا
كلما طاف بالخواطر نال   طار نحسا من صيحة الناعبينا
واذا نغم المسرة شاد   استحال النشيد لحنا حزينا
قلق لا يريم ، يارب رحماك   فما زلت ارحم الراحمينا

***

لك يارب فى النوازل سر   ولك الحكمة البليغة فينا
أنت ملء السماء والارض نورا   تجتليه بصائر المؤمنينا
صدف الناس عن هداك وضلوا   فى هواهم صراطك المستبينا
وتنادوا بالشك فيك ودانوا   بهراء الالحاد والملحدينا
واستبدت بهم مطامع دنيا   مرغوا بالنفاق فيها الجبينا
واستباحوا محارم الدين بغيا   ونسوا الله اسرع الحاسبينا
واذلوا النفوس حرصا وسحتا   فهوت تحت ارجل الواطئينا
واستحرت ضراوة الحقد حتى   واد الحب فى النفوس جنينا
مأتم تندب الفضيلة فيه   خلقا مات أو ضميرا طعينا
رب لا تأخذ الضعاف بذنب   قد جناه فى ملكك الظالمونا
واحفظ الدين من سهام الاعادى   واعز الاسلام والمسلمينا
واكتب النصر للعروبة يا رب ،   ووفق ابطالها العاملينا

حسن جاد حسن

غنوة لطفل

للأستاذ عبده بدوى

كالنسمة وارفة حلوه
كالألق الباسم فى غنوه
كحقول القمح المرجوه
وكقطرة نور مزهوه
.. اضحى يبقى فى فرحته
بنوافذه ، بحديقته !

***

فى الماضي لم انبت ورقة
لم أزرع فرحا فى حدقه
قد كنت حياة محترقه
اشواقا حائرة تلقه
واذا بصباح مبهور
يعطينى اسرار النور !

***

فأرانى أزحم ايامى
واغطى الأفق باحلامى
فباعماقى شىء نامى
شىء كجناح مترامى
يعطينى خصب البشريه
فى سمرة وجه مصريه

***

أهدية للشعب الأسمر
للفأس على الحقل تثرثر
للنبض الثورى المزهر
للفكر ، لعالمه الأخضر
للعالم أهديت صباحه
فليقبل منى افراحه !
ما زلت اراها بين ابى
كنضارة فجر مرتقب
فى قريتنا !

***

ابصرت بسنبلها الحبا
والنصب يشق له دربا
والبذر يسير بها وثبا
ان يلق « الموال » العذبا
والنسمة والفجر الرطب
فالشعب هنا حقل لبى
انسان ممتلىء حبا
اطيار . اوراق . قربى
ابصرت بها تكسو ولدى
وتضم لأمسي حلو غدى
فى قريتنا :

***

فى قريتنا يزهو الشجر
والفكر الاخضر يزدهر
وتضيء مع الشمس البشر
.. فلاذا تمثال منتصر
وقصائد تملؤها الصور
وسواعد عانقها القدر
فى قريتنا !

عبده بدوى

صفحات أدبية مطوية
مع الكاظمي شاعر العرب

للأستاذ أحمد الشرباصي

كم من القراء اليوم يتذكرون عبد المحسن الكاظمي الذي تألق نجمه الشعري عند مطلع هذا القرن ، واستمر متألقا قرابة اربعين عاما ؛ وظل الادباء يطلقون عليه لقب « شاعر العرب » خلال هذه المدة ؟ ..

لقد ولد الشاعر الكاظمي في «محلة دهنة» بالعراق سنة ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ م من أم ينتهي نسبها الى الامام موسى الكاظمي جد الشريف الرضي الشاعر المشهور ؛ ومن أب كان تاجرا ؛ ولذلك أريد للولد أن يكون للتجارة كوالده ؛ ولما كانت تجارة العراق في عهده لها صلتها بالبلاد التي تتكلم اللغة الفارسية ؛ فقد بدأ بتعلمها ؛ ولكنه سرعان مادخل روضة العلوم العربية ؛ فتلقاها علما بعد علم ؛ كما تلقى فنون الادب بالكاظمية في العراق ؛ وكان استاذه فيها ابراهيم الطباطبائي احد أعلام الشعر العربي بالعراق في القرن التاسع عشر ؛ فقد مات الطباطبائي سنة ١٩٠١ م ٠

وقد قال الكاظمي الشعر ؛ وبرز فيه ؛ واقتدر على ارتجاله مطيلا فيه ؛ حتى روى عنه أنه كان يرتجل القصيدة تزيد على مائة بيت ٠ وهذه ناحية غريبة في حياة الكاظمي الادبية ٠

ولقد قال طائفة من القصائد في نقد الحكومة العراقية على عهده ، فلاحقته بالاضطهاد والمراقبة ؛ حتى ارغمته على أن يفر الى الهند مهاجرا ؛ وبعد فترة قضاها هناك وفد على مصر سنة ١٨٩٩ ؛ واتخذها دارا وقرارا ، واتصل بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ؛ واستعان بجاهه ومكانته ؛ وكان حاضر البديهة ، سريع الخاطر ؛ يسلك في شعره طريقة القدماء من شعراء العرب ٠

وقد لاقى وهو في مصر متاعب جمة ؛ وعاناه مرضه وضعف بصره ووهن شيخوخته عن الخروج الى الناس في الاعوام الاخيرة من حياته ؛ وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ، بعد أن خلف من ورائه ديوانه الذي طبع في جزءين عام ١٩٣٩ ؛ ومعلقاته في سعد زغلول التي نشرها خير الدين الزركلي سنة ١٩٢٤ ؛ وله كتب أخرى فقدت في حياته أو بعد مماته ٠

وقد كتب الكاظمي الى رشيد رضا رسائل أغلبها في شكوى الزمان ؛ وطلب المعاونة على مطالب الحياة؛ وقد عثرت على أربعين رسالة منها كلها بخط الكاظمي ؛ ومعظمها في بث الشكوى وابداء الحاجة ؛ وطلب المؤازرة ؛ ومن بينها رسالة كتبها في ٢٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هجرية ؛ الموافقة لسنة ١٩١٤ ميلادية ؛ وهي تعد نموذجا من نماذج أدب الشكوى في أدب الكاظمي خاصة ؛ وفي أدب عصره عامة ٠

وفي بداية الرسالة نفهم أن الكاظمي كان من شيعة الاستاذ الامام محمد عبده ؛ وممن يستظلون بظله ؛ ويتقوون بجاهه ؛ وأنه وجد في صديقه رشيد رضا بعد الامام مايذهب جانبا من وجده لفقده ؛ والكاظمي يصور في هذه الرسالة المصائب التي توالت عليه في عامه ذلك ، فهو يشكو غدر الصديق ؛ وملاحقة الدائن ؛ وجحود العشير ؛ وتلون السكن ؛ وكفران من أحسن اليه سنين عددا ؛ حتى اضطرته هذه المحن أو بعضها الى أن يهجر مسكنه في « العباسية » الى « الجيزة » ؛ ويختفي هناك عن معارفه وعن سائر الناس؛ ويصور مبلغ أساه وحزنه حين أرشد صديقه بعض الناس الى المنزل الذي لجا اليه متخفيا تحت جنح الظلام برغم شيخوخته ومرضه ٠

ويشير الكاظمي في رسالته الى الشيخ عبد الكريم سلمان الذي نفهم من رسائل أخرى للكاظمي - هي بين يدي - أن رشيد رضا كلف الشيخ عبد الكريم بالتوسط لدى بعض المسئولين في الدولة لمعاونة الشاعر الكاظمي ؛ ويظهر أن معظم متاعب الكاظمي ترجع الى مصدرين : الاول فقره والثاني فشله في حياته الزوجية ٠

وهذا هو نص الرسالة :

« سيدي الاخ الفاضل

أكتب هذه الكلمة وأنا لا أملك عنان يراعي فآمن عليه الشطط ؛ ولا أستطيع كبح جماح مقولي فأحيد به عن الغلط ؛ فاذا عثر القلم ؛ أو زل اللسان ، فمثلك من يقبل العثرة ، ويغفر الزلة ٠ لم أجد بعد الاستاذ الامام أحدا أخضع له وأعظمه ؛ والتجيء اليه وأذب عنه ؛ وأحامي دونه وأتوب اليه ؛ واعتذر منه وأعتب عليه ؛ الا أنت ٠

اجمل فأقول : لو وضعت مجموع ما أصبت به من الحوادث مدة حياتي في كفة ميزان ..ووضعت

ما أصبت به في هذه السنة ـ أي منذ بداية هذه الحرب المشئومة ـ في الكفة الاخرى : لرجحت الكفة الاخيرة أيما رجحان · أصابني في هذه السنة من ضروب الهوان ؛ ولحقني من صنوف الاذى : ما لم اكن أتوقع حدوثه في الحلم ·

لقيت من الاهل والاخوان ما لم آلفه من الزمان · لقد صدق القائل :

واخوان تخذتهم دروعا
فكانوها ، ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات
فكانوها ، ولكن في فؤادي

الطف مع الدائن واحاسنه ، فاسمع منه مالا يرضاه أحقر الناس نفسا ، واثق بالصديق وائتمنه على سري ، واطلعه على أمري ، فينقلب على رقيبا وواشيا ، وأنفق على النزيل المحتمي بي أكثر من سبع سنين ، وأذل نفسي لعزته ، واقلق بالي لراحته ، فأرى منه عند الشدة ما لم اكن تصوره أو يخطر على بال · أقيم مع الزوج السيىء الخلق عدة سنين ، أقوم معوجه ، وأصلح فاسده ، وأكابد من أجله كل شقاء وعناء ، حتى اذا يئست من اصلاحه ، وعجزت عن مداواة أخلاقه ، طلقته أولا بعد الوعيد والانذار اللذين لم ينفعا معه ، وطلقته ثانيا بعد العلاج الذي لم يجد ، وفارقته وابتعدت عنه على حين ليس له على اقل حق ، ولكنني ارضاء لخاطره تكفلت له بحقوق أعطيته وثيقة بها ، يتقاضاها مني عند الامكان ، وفرضت على نفسي له فرضا يعيش منه وهو في غنى عنه ، اؤديه في رأس كل شهر · وصنعت معه من العرف مايضيق عن ذكره مثل هذا المقام ·

كل هذا لم يكفه ، بل صار يكيد لي ليفترس سمعتي وشرفي انتقاما مني ، فنسب الي ما يتحاشى سماعه أسوا الناس أخلاقا · كنت اعلم من قبل أن من الخلق من يحب الانتقام ، ولكنني ما كنت أتصور أن مخلوقا يصل به حب الانتقام الى درجة يهون معه قتل النفس البريئة ، وسد أبواب الرزق دونه ، وإماتته جوعا وعطشا · لماذا كل هذا ؟ · لانه أصبح طالقا ! ·

ثقتي بالصديق كانت تدفعني ان ألتجيء اليه واحتمي به ، واطلعه على ما أصابني ، فأرى منه خير معين ونصير ، واعظامي له كان يمنعني أحيانا أن ابوح له بما أرى ذكره غير لائق بمقامه السامي ، تلك الثقة هي التي دفعتني أن أخبر الصديق الوحيد دون سواه عن سبب انتقالي من العباسية الى الجيزة ، وعن سبب اختفائي في الثانية ، وان اطلب منه تكتم الخبر : وأن لا يطلع عليه أي انسان مهما كانت صفته ·

وكنت أظن أن الزور والبهتان والتمويه والتضليل لا يخفى على مثل الصديق أمره ، وأن حكمه في الاشياء لا يجب الا بعد طول التحقيق والتدقيق والتروي والتأني ، لا بمجرد دعوى من مدع ، أو شكوى من شاك ·

***

وينبغي أن نلاحظ أن الكاظمي لا يتقيد في كتابته بقواعد الاملاء المالوفة لنا ، فهو يكتب كلمة «أؤديه» هكذا : «اديه» · ويكتب كلمة «رأس» هكذا «رئس» ، ويكتب كلمة «يتحاشى» بالألف «يتحاشا» ، ويكتب الضاد ظاء اتباعا لنطق أشقائنا في العراق لحرف الضاد قريبا من الظاء ، ويكتب كلمة «يتبرأ» هكذا : «يتبرء» ··· الخ ·

وهو قد ينسى حرفا من الكلمة بسبب العجلة ، وخطه مقروء ، وان كان غير جيد ·

***

ويظهر أن شكوى الكاظمي لم تكن بنت العام الذي سطرت فيه الرسالة الماضية ، فقد سبقت شكواه هذا العام بأعوام ، فقد عثرت على قصيدة بخط الكاظمي وجهها الى رشيد رضا بتاريخ ٦ شوال سنة ١٣٢٥ هـ ـ أي قبل كتابة الرسالة الماضية بنحو ثمان سنوات ـ وهي قصيدة يبدو منها الحزن والأسى ، فهو يبكي شبابه الذاهب وعزمه الغارب ، ويتحدث عما كان له من قوة وفتوة ، ثم ينتقل الى وصف آلامه وأحزانه ، ويخلص من هذا الى أبيات لا تستوقفنا في موضوعنا طويلا ، لانها مديح في صاحبه ، وقد يكون مبعثه التقدير ، وقد تكون علته الحاجة ، ولكن يعنينا بعد أبيات المديح أبيات فيها لوعة وحسرة ، والقصيدة الى جوار الرسالة تزيدنا معرفة بشكوى الكاظمي في شعره ونثره :

اطرقت مهما مر في خلدي
ذكر الشباب وعهده النضر
اطراقة المأموم وهو شج
تطوى أضالعه على الجمر
والعين دامية ، فأدمعها
تنهل من بيض ومن حمر
ولواعج الزفرات في صعد
تمتد بين الصدر والنحر

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

مهرجان الشعر فى الميزان

مهرجان الشعر الذى اقامه المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاسكندرية فى الاسبوع الماضى – كان للشعر عيدا ، بكل معنى كلمة «العيد» اختلط فيه الجد بالهزل ، والوقار بالمرح ، والجيد بالردىء ، والسامى بالمسف ، واخذ كل من كل حاجته ، حتى هذه الالاف المؤلفة من الاولاد والبنات الذين احتشدوا فى المدرج الكبير بكلية الحقوق ليسمعوا مها صبري وقايدة كامل .. بعد ان يفرغ الشعراء من قصائدهم .. حتى هؤلاء لم يخل الامر من وصول اطراف من الشعر الى اسماعهم ، وبعض عرف ان هناك شيئا اسمه الشعر . وانه جدير بكل هذا الاحتفال . وكان هؤلاء الاولاد وما يفرحهم من مظاهر العيد ، وهل يخلو عيد من الاولاد وافراحهم ؟

وكان للمهرجان معان اخرى غير مجرد الشعر والبحث ، أكد للشعراء ان لهم دورا فى الحياة ، وانهم لدى الدولة موضع الرعاية ، كما اكد للناس ان الشعراء موجودون وان انكرتهم الصحافة ، وان لديهم ما يقولونه فى حياتهم ويعبرون به عنهم ، واكد للشعراء الشبان ابوة الشيوخ ، وان كانت هذه الابوة لم تتوافر الا فى ظلال الدولة ، والدولة اب او ام للجميع .

وتجمعت معانى العيد كلها فى التقاء افراد الاسرة الشعرية ومن صاحبهم من الدارسين والنقاد وممثلى الصحافة الادبية . عاش الجميع اياما جميلة بالثغر الجميل فى جو يسوده الصفاء والحب ، لم تعكره حتى روح المنافسة ونوازع الغيرة المعهودة بين الشعراء . القصيدة الجيدة جيدة ولا كلام .. والتى ليست كذلك – ليست كذلك .. ولا مجاملة ..

ولم يخل بالجو العام ومتعته وسحره وصفائه – ما كان من تقدات واسئلة عن بعض أشياء ..

هل كان يصح ان تجيز لجنة الشعر هذه القصيدة ؟ وهل ضرورى ان يكون كل هؤلاء الشعراء فى المهرجان وفى اشعارهم كثير من الردىء ؟

وبعض اعضاء يسألون مستنكرين : لماذا قال الشاعر فلان هذا البيت او هذه الابيات وقد حذفتها اللجنة من قصيدته ؟ ويكون الجواب : لقد جنى على نفسه ، وكان اجدر به ان يقتصر على المنقى من شعره ..

ولم هذا الحشد الكبير فى المدرج الفسيح ؟ اكثر هؤلاء جاءوا للموسيقى والغناء .. وهم يصفقون باعجاب وبلا اعجاب ولمجرد العبث ، وبعضهم يقول : اعد .. وهو لا يريد اعادة .. والشاعر المملول يعيد ! الم يكن من الممكن ان يكون القاء الشعر والبحوث فى مكان آخر بعيد عن هذا

قل للعذول : اليك عن عذلى

ذهب الغرام وأنت لا تدرى

رحل الشباب ، ورب مرتحل

ولى ، وخلف أطيب الذكر

أمعاهد الأحباب ، هل خبر

تسرى به الأرواح ما تسرى

مالى – اذا فيك الخطوب جرت –

غير الدموع عليهم تجرى

كم سائل لبيت دعوته

ودفعت عنه الشر بالشر

ومروع سكنت روعته

وغمرته بالنائل الغمر

كم شدت للراجين من أمل

وجبرت للعافين من كسر

حتى اذا افترس الزمان يدى

ووقعت بين الناب والظفر

لم ألق ممن كنت أكلؤه

لى كالئا يأوى الى وكرى

قد خاننى من كنت أحسبه

يبقى معى فى العسر واليسر

***

• واذا كانت رسالة الكاظمى السابقة تعطينا ملامح عن « الرسالة الاخوانية » فى عصره وفى أدبه ، فان القصيدة تعطينا ملامح عن الشكوى والمديح فى عصره وفى أدبه ، وكل من الرسالة والقصيدة جديرة بالتأمل والبحث .

احمد الشرباصى

الرباط .. فاذا ما انتهى الالقاء انتقل الحفل الى مكان السمر ؟

كل ذلك يقال ويمر ، حتى الزوبعة العاتية التى اثارها صالح جودت بهجومه على الشعر الجديد ووصف شعرائه بانهم مخضبو الاكف .. ما هذا الكلام ، وما لزومه ؟ ولم التعريض بالالوان الى الوان سياسية اجنبية بقصد تلوين بعض المواطنين بها وليسوا من اهلها ؟ وما علاقة الشعر ـ جديده او قديمه ـ بهذه الالوان ؟ ولم تقر اللجنة ذلك ؟ هبها محقة فى نفى الشعر الجديد من المهرجان ، ولكن لماذا الشتيمة وسب المواطنين ؟

قال ذلك خصوم الشعر الجديد انفسهم ، وانسحب من الاجتماع بعض اصحاب الشعر الجديد .

حتى هذه الزوبعة مرت بسلام .. وكان ما كان ـ ما كان !

السنا فى عيد ..؟ والعيد يحوى كل شىء .. قد يغرق بعض المتنزهين فى النيل ، ويتسع لذلك صدر العيد !

ولا بأس ، فمن لوازم العيد « الجديد » فاذا لم يكن شعر جديد فليكن هجو الشعر الجديد !

ولا بأس كذلك .. فليس فى الامكان ان يكون كل شىء على ما يرام ولنأخذ بعد فى الحديث عما القى فى المهرجان من بحوث وقصائد .

البحوث

القيت فى المهرجان عدة بحوث عن الشعر ، أولها للاستاذ العقاد بعنوان «الشعر لازم» ، القاه بنفسه ، **وقد قوبل عند دخوله الى القاعة بتصفيق حاد استمر نحو خمس دقائق ، وكان هذا تعبيرا عن تقدير الجمهور للاستاذ الكبير .**

ومحاضرة العقاد ذات شقين ، الاول بيان عن ضرورة الشعر للحياة الانسانية ، قال فيه عن الشعر : « لا ينقص من لزومه شيوع الصاروخ كما قيل ، بل هو الزم ما يكون حين تشيع الصواريخ وتشيع معها أخواتها من صفائح الحديد والخشب وآلات النار والكهرباء . وكلما غلبت المادة وصفائحها وآلاتها تحسس الانسان مكان روحه ، وارتد الى قرارة اعماقه ووجدانه ، يطمئن على نفسه : **الا يزال انسانا بعد ، أو هو فقد الانسانية فى كيانه وصار مع الصاروخ وادواته آلة من الآلات ، وقطعة من الخشب والحديد ، وشواظا من النار والكهرباء ؟**

والشق الثانى فيما يلزم فى الشعر باعتباره فنا من الفنون له قواعد وأصول ، وخص بالكلام الوزن من حيث ما يقال من أنه يدعو الانسان الى أن يقول مالا يلزم تكملة للوزن حيث لا محل له من الكلام . وأتى بامثلة من الشعر العربى بين فيها التفاعل بين الالفاظ والمعانى ومكان بعض الكلمات من الدلالة على المعانى ، فلا تعد من الحشو او الفضول .

ولا شك ان هناك كثيرا من الشعر يلجىء فيه الوزن الشاعر الى حشو وفضول ، فالقاعدة على اطلاقها غير مطردة ، الا ان تقيد بالشاعر المقتدر المتمرس .

والقى الدكتور زكى نجيب محمود بحثا موضوعه «مظاهر شعر الشباب فى الجيل الماضى» تحدث فيه حديثا مضيئا عن ثلاثة شعراء شبان فى الجيل الماضى ، **هم الشابى فى تونس ، والتيجانى فى السودان ، والهمشرى فى مصر** ، واختارهم من بين شعراء جيلهم كنماذج للاحساس الحاد الملتهب الذى يتأثر بما حوله فيتألم ويثور . وقد فصل الدكتور زكى نجيب الكلام فى خصائصهم الشعرية والنفسية وقارن بينهم وبين غيرهم من الشعراء الراضين ، واوضح الفروق بين أثر الرضا واثر السخط فى الشعر ، من حيث أن الاول يدعو الى التجويد الاتباعى ، والثانى الى التحليق الابداعى .

وكان بحث الدكتورة سهير القلماوى عن «الشعر بين الفنون» ، وهو بحث قيم تتوافر فيه الاصالة الفكرية والنظرة الشاملة .

اما الموضوع الذى فاجا المجتمعين فى المهرجان بشىء جديد لم يكن على البال .. فهو بحث الاستاذ نقولا يوسف عن « الشعراء السكندريين الاوربيين » تحدث فيه عن شعراء أوربيين كانوا يعيشون فى الاسكندرية وبعضهم لايزال بها ، وعرض نماذج رائعة من أشعارهم التى تعبر عن البيئة السكندرية .

وقد أثار هذا البحث فكرة جديدة ، هى أن يشترك أولئك الشعراء والشاعرات الموجودون الآن بالاسكندرية فى المهرجان القادم .

والقى الدكتور بدوى طبانة بحثا قيما موضوعه « الوحدة فى الفن الشعرى » ، ناقش فيه الوحدات الثلاث (الزمان والمكان والموضوع) التى قال بها أرسطو وآراء بعض الغربيين فيها والثورة عليها . ثم انتقل الى الشعر العربى فعرض آراء نقاد العرب فى وحدة البيت واستقلاله او اتصاله بما قبله وما بعده وافتقاره اليه . **واورد رأى ابن الاثير الذى**

يستحسن حاجة البيت الى الذي يليه • وقال الدكتور طبانة انه يرى اطلاق كلمة «التماسك» بدل الوحدة : **والذي يبدو لي أن لفظ التماسك لا يحل محل الوحدة، لانه قد يوجد مع الاستطراد الوثيق الارتباط من موضوع الى موضوع وأما وحدة الموضوع فهي تلزم بموضوع واحد** •

والقى الاستاذ ابراهيم الحضراني مندوب اليمن محاضرة عن الشاعر اليمنى « عبد الله البرزانى » ، كما ألقى الاستاذ يوسف فهمى الجزايرلى محاضرة عن الشاعر السكندرى « عثمان حلمى » •

وختمت البحوث ببحث للدكتورة نعمات فؤاد عن « المرأة فى شعر الزهاوى » ، وقد وفت الموضوع باعتبار عنوانه « المرأة عند الزهاوى » ، **فلم يكن فى الموضوع « شعر » اذا كان أكثر ما أتت به من كلامه فى تحرير المرأة نثرا عاديا ، والاقل الموزون لايخرج عن نظم الافكار ، وليس فيه أية صورة شعرية** •

فى سطور

● اشترك فى المهرجان ثمانية واربعون شاعرا وثمانى شاعرات ، كانوا جميعا ينزلون فى ضيافة المجلس الأعلى بفندق « وندسور » •

● **مثلت فى المهرجان بعض البلاد العربية ، مثل السودان الشيخ محمد البنا ، ألقى قصيدة ، ومثل اليمن ابراهيم الحضرانى ، ألقى محاضرة ، ومثل فلسطين سميرة أبو غزالة وهارون هاشم رشيد ، ألقى كل منهما قصيدة تتصل بقضية فلسطين ، ومثل الجزائر المفدى زكريا ، ألقى كلمة فى حفل الافتتاح دعا فيها باسم شعب الجزائر وحكومته الى عقد المهرجان بالجزائر فى العام القادم** •

● استمر المهرجان ستة أيام من ١٦ الى ٢١ نوفمبر ، كانت القصائد والمحاضرات تستغرق نحو ثلاث ساعات كل يوم يعقبها حفل سمر •

● كانت حلقات الشعراء والأدباء تنعقد كل يوم فى بهو الفندق ، حيث تجرى مناقشات وتعليقات على ما ألقى من الشعر ، كما كانت تجرى أحاديث شتى فى قضايا الادب وغير الادب •

● **لم يكن الشاعرات متفوقات ، وقضين مع اخوتهن من الشعراء والادباء أيام المهرجان بعيدا عن أحاديث الازياء و (الموضات) وما اليها مما تدور عليه أحاديث السيدات** •

● راعت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى التنويع فى موضوعات الشعر عند اختيار القصائد ، من وطنية وعاطفية وغيرها ، وقد ظفرت الاسكندرية بعدد لا بأس به من القصائد التى قيلت فيها وفى شواطئها وذكريات الشعراء فيها •

● نظم محمد التهامى قصيدة عن ثورة العراق الاخيرة التى حدثت فى يوم من أيام المهرجان ، والقاها فى اليوم الرابع مع قصيدته المعدة من قبل • وألحق عبد الله شمس الدين بقصيدته أبياتا فى هذه المناسبة ، وقد قوبل كل منهما بتصفيق حاد •

● كان كثير من القصائد لاتلتزم وحدة الموضوع، ومنها قصائد لشعراء كبار ، وعلى العكس التزم هذه الوحدة أكثر الشعراء الشبان وان كانت تنقص بعضهم الجودة والنضج •

● من القصائد التى لم تلتزم الوحدة قصيدة صالح جودت التى قال فيها كل شىء •• وقصيدة عبد العزيز برعام التى انتقل فيها من محل أحذية للاطفال الى الصواريخ وعالم الفضاء ولم يعد الى المحل المذكور ••

● ظللنا أربعة أيام نستمع الى قصائد الشعراء ما بين جيدة ومتوسطة ورديئة ، ونصفق للجيد ، ويصفق الأولاد طلاب الغناء والسمر للشعراء جميعا كنوع من التسلية والخروج من الملل •• **حتى كان اليوم الخامس ، اذ انطلق صاروخ الشعر من فم محمود حسن اسماعيل •• كانت قصيدته عروس المهرجان** •

● من القصائد الجيدة قصائد على احمد باكثير وعبده بدوى ومحمد عبد الغنى حسن ومحمد الجيار وعبد الرحمن صدقى والعوضى الوكيل وعادل الغضبان ومحمود عماد وطاهر الجبلاوى وعبد العليم القبانى وجليلة رضا وروحية القلينى ونجاة شاوز وسميرة أبو غزالة •

● كانت قصيدة على الجندى ذات طرافة خاصة ، وسأتحدث عنها فيما بعد •

● كانت قصائد بعض الفحول أقل من مستواهم مثل أحمد رامى ومحمود غنيم •

● كانت بعض القصائد تظفر بالتصفيق لاعتبارات من خارج الشعر •• مثل ورود أسماء وكلمات وطنية ، ومثل التطرف فى الغزل ••

● **الى اللقاء فى الاسبوع القادم حيث ننظر فى بعض قصائد المهرجان ونتحدث عن ظواهر شعرية فيه** •

عباس خضر

فى عالم الفن

مسؤلية المثقفين فى الموسم المسرحى الجديد

الاستاذ : عبد الفتاح البارودى

ماذا سيفعله المثقفون فى الموسم المسرحى الجديد ؟ ان الموسم بدأ فعلا بروايات عالمية تمثل على مسرحنا لاول مرة ، فهل سيكتفى المثقفون بالجلوس فى مقاعد المتفرجين ؟

مسألة أخـرى أهم ؛ لانها متعلقة بالتخطيط المسرحى ... ان فى هذا الموسم بالذات ظهرت خطة جديدة لتنظيم نشاط الفرق المسرحية ، وعلى أساس هذه الخطة وضـع تقسيم منهجى لفرق مسرح التليفزيون . فاصبحت تتكون من ثلاث شـعب : المسرح العـالمى ـ والمسرح الكوميـدى ـ والمسرح الحديث..وكذلك انشئت شعبة رابعة باسم مسرح توفيق الحكيم ، فكيف يؤدى هـذا التقسيم أحسن نتائجه ؟ وما الرأى فى هذا التنظيم ؟!

ان هذه كلها مسائل هامة جدا ؛ فمتى يناقشـها المثقفون ؟ هل ينتظرون ظهور نتائجها فى نهـاية الموسم مثلا ؟ ولكن ماذا يمنع من مناقشـتها الآن باعتبار انهـا اتجاهات فكرية جديدة وقائمة على تخطيط منهجى ؟!

الواقع أن المثقفين عندنا لا يتحملون مسئولياتهم كما يجب ... فهم لا يعجبهم العجب؛ ومع ذلك فانهم فى نفس الوقت لا يناقشون التجارب الفنية مناقشة جادة ... فى الموسم الماضى ظهرت تجربة تعـدد الفرق المسرحية ؛ وهذه التجربة حققت نتائج هامة وكشفت عن احتياجات هـامة ولـكن معظم الذين ناقشوها تركوا النتائج والاحتياجات وداروا حول القشور .

فمثلا نجحت هذه التجربة فى خلق الشغف المسرحى بين الجمهور ؛ وفى القاء الضوء على خامات جـديدة مثقفة ؛ وفى فتح أبواب العمل للمثقفين فنيا ؛ وفى امتداد النشاط المسرحى الى الاقاليم ... الخ ... ورغم ذلك كله سمعنا من يتساءل عن مستوى الروايات التى قدمتها الفرق التليفزيونية ؛ بحجة أن رواية ممتازة واحدة أفضل من عشر روايات متوسـطة أو ضعيفة ... وسمعنا أيضا من يتساءل عن أسـباب زيادة عدد الفرق الى ١٤ فرقة دفعة واحدة ؛ بحجة ان التوسع يحتاج الى تريث؛ وان السير خطوة خطوة أفضل من القفز ... وهكذا ... وانا لا أستهين بالقيم الفنية ؛ أو بضرورة مراعاة المستوى الفنى . وانما أدهشنى أن « المتسائلين » هم الذين تغاضوا عن النظر الى القيمة الفنية والمستوى الفنى؛ وأغفلوا تقدير ظروف مسرحنا المحلى ... الدليـل على ذلك أن الفرق التليفزيونية قـدمت روايات مترجمة او مقتبسة من الادب العالمى ؛ وقدمت مسرحيات معدة من قصص أدبائنا ، وكل هـذا الانتاج فى مجموعه لا يقل مستواه عن المستوى المألوف فى مسرحنا؛ ومع ذلك لم يكترث المتسائلون بمناقشة أى رواية ، ولم يحاولوا حتى المقارنة بين انتاج الفرق التليفزيونية والانتاج الذى يرون أنه المثل الاعلى كما تتصـوره أذهانهم .

لو أنهم حاولوا ذلك لادركوا أولا أن المسـتويات متقاربة ، ولادركوا ثانيا أن السير بسرعة السلحفاة يحدد النشاط المسرحى فى القاهرة فقط ؛ ويحـدد الشغف المسرحى بين جمهور ضئيل العدد ، ويجعل مسرحنا « كالبيت الوقف » لا يدخله غير عدد محدود من النجوم والمؤلفين..وأحب أن أسأل «المتسائلين» : قبل ان يظهر مسرح التليفزيون كم بلغ عدد الروايات التى مثلت على جميع المسارح ؟ وكم بلغ عدد المتفرجين فى جميع المواسم ؟ وكم بلغ عدد المشتغلين بالمسرح منـذ ظهوره فى بلادنا ؟ وأين النجـوم والمؤلفون والمخرجون والفنـانون والفنيـون الذين أتيحت لهم فرصة الوقوف على خشبة المسرح أو خلف الكواليس

. بديهى أن مسرح التليفزيون لو سـار بسرعة السلحفاة لما حقق هذه النتائج المذهلة التى حققهـا فى موسم واحد ... ومع ذلك فمن الخطأ أن يقال انه ليس فى الامكان أروع مما كان ... ان تجربة المسرح التليفزيونى كشفت عن احتياجات جـديدة لا بد من مواجهتها ... فمثلا كثرة عـدد الروايات حددت مدة العرض الاول لكل رواية بفترة وجيـزة

جدا،وهذا أثر في مستواها ؛ سواء مستوى النصوص أو مستوى الاعداد أو مستوى الاداء ... أيضا كثرة عدد الفرق أشعرتنا بالحاجة الى نصوص كثيرة والحاجة الى خلق « المؤلف » ... وضرورة امتداد النشاط المسرحى خارج القاهرة واجهتنا بالحاجة الى تنسيق العاملين فى الفرق المسرحية ... وضرورة وضع الانتاج المسرحى فى خدمة المجتمع الجديد تواجهنا بمسئوليات ضخمة فى التاليف والتحضير وفى تصحيح المفهومات الفنية ، وفى نشر الثقافة المسرحية ؛ فهل سيؤدى التخطيط الجديد الى سد هذه الاحتياجات ؟!.

من هنا تبدو أهمية التخطيط الجديد كتجربة فنية يجب أن نستفيد فيها من نتائج التجربة الماضية وكل التجارب الماضية .. كيف ؟ بالمناقشات القائمة على أسس علمية ؛ وبالنقد البناء وبالتوجيه الفني ، وبالمتابعة الواعية بالقيم الفنية والقيم الاجتماعية ... الخ .

والمثقفون جميعا مسئولون عن ذلك .. ان التخطيط الجديد اقتضى تشكيل لجان من المشتغلين بالنقد والادب والفن لمراجعة الروايات واختيار أصلحها للعرض ومتابعة البروفات ، ولكن هذا ليس معناه أن هؤلاء وحدهم هم المسئولون عن تنفيذ التخطيط الجديد ؛ فان كل المثقفين يجب أن يشاركوا فى رفع مستوى المسرح مشاركة ايجابية بمناقشة هذا التخطيط والتنظيم والتقسيم والروايات واللجان .. الخ .

فمثلا المسرح العالمى ما رايكم فيه وفى منهجه ؟ لا تستخدموا عبقريتكم فى مطالبته – مثلا – بتقديم روايات عالمية ، فهذا تحصيل حاصل ؛ وبديهى أنه سيقدم روايات عالمية ؛ ولكن كيف يختارها ؟ وما هى الروايات التى ينبغى أن يبدأ بها ؟ وهل يراعى امكانيات مسرحنا ، أم يقدمها كيفما اتفق باعتبار أنها نصوص لا جدال فى أنها رائعة المستويات ؟!

أسئلة كثيرة جدا تحتمل اجابات كثيرة جدا ولابد من بحثها بعمق .. ان مسرحنا سبق أن قدم روايات عالمية لشكسبير وموليير وشريدان وبرنارد شو وسارتر ، بل سبق منذ ٥٠ سنة أن قدم رواية لسوفوكليس ، ومع ذلك لم نستفد من تقديم هذا التراث العالمى كما يجب ... لماذا ؟ لان الروايات العالمية لا تفهم بمجرد عرضها ... ان الذين الفوها عباقرة عالميون ولكنهم من البشر مثلى ومثلك من عباد الله ، اى أنهم يتأثرون بالظروف التى يعيشون فيها ويكتبون للناس الذين يعيشون معهم ؛ وليس صحيحا أن المؤلف العالمى يكتب روايات صالحة لكل زمان ومكان ؛ وانما تكتسب هذه الصلاحية لانهم يتعمقون فى المشكلات التى يتناولونها بحيث تصبح رواياتهم من التراث الانسانى ؛ ولكن لابد لفهمها من فهم ظروفهم ومشكلاتهم وفلسفاتهم ، اى رؤيتهم الفلسفية ومذهبهم الفكرى وطريقة تناولهم الفنى للاشياء ... مسائل كثيرة لابد من معرفتها لمعرفة رواياتهم .

واذن فتقديم اى رواية عالمية يستلزم عمليات متعددة لالقاء الضوء عليها ، ولهذا فمن اللازم وضع منهج العرض ومنهج للفهم ، وبغير ذلك لا يفيد اطلاقا تقديم الروايات العالمية كيفما اتفق ... فمثلا الروايات الاغريقية والكلاسيكية – على روعتها – لا تصلح كنماذج تحتذى ؛ اى كنماذج يكتب مؤلفونا على غرارها ، لان الظروف التى كتبت فيها تختلف عن ظروفنا وانما نستفيد منها – كنماذج للتاليف – فى تعميق المعرفة بالمواضعات المسرحية؛ ونستفيد منها بصفة عامة اذا استطعنا تحليلها تحليلا فنيا وتحليلا موضوعيا ... افرض مثلا ان المسرح العالمى سيبدا بعرض « عطيل » لشكسبير .. ان هذا يستلزم معرفة خصائص المسرح الشيكسبيرى والمسرح الاليزابيثى كله؛ وفلسفة العصر؛ وفلسفة شيكسبير او رؤيته الفلسفية ... وبديهى ان فلسفة اى عصر مرتبطة بفلسفة العصر السابق له ؛ فهى اما امتداد لها او تطوير لها او معارضة لها .. الخ .. ومن أجل ذلك تلزم معرفة فلسفات العصور كلها ليمكن فهم الروايات العالمية ... وليس معنى هذا تحويل جميع المتفرجين الى فلاسفة ، وانما من الضرورى تحضير الاذهان لاستقبال هذه الروايات بوعى ... ومن أجل ذلك ينبغى ترتيب تقديم الروايات ، أو على الاقل محاولة ترتيب عرضها ترتيبا زمنيا ... فى رأيى ان هذا الترتيب ضرورة ؛ فما رأى المثقفين؟ لم نسمع منهم شيئا فى الماضى ولا فى الحاضر ... كل ما فى الامر أنهم كلما عرضت رواية عالمية أثاروا حولها « دردشة » تنتهى بانتهاء الرواية ؛ ودمتم بخير !!

المفروض أن نبحث منهج المسرح العالمى بحثا عميقا ومفيدا من الوجهة العملية . فالمنهج القائم على الترتيب الزمنى مثلا يحتم أن نبدأ بعرض روايات الاغريق ؛ ولكن هذا يحتاج الى استعدادات ودراسات نرجو أن تتوافر تدريجيا ولكنها غير متوافرة تماما من مختلف

النواحى .. هذا اذا أردنا تقديم هـذه الروايات بنصوصها وأساليبها الاغريقية .. أما اذا أردنا تقديمها بأساليب حديثة كما يحدث أحيانا فى الغرب فهذا أيضا يحتاج الى استعدادات لم تتوافر فى مسرحنا ... وكذلك فى المسرح الشيكسبيرى ... واذن فهل ننتظر حتى تبنى مسارح اغريقية ومسارح شيكسبيرية ونستكمل دراسة الفن المسرحى ؟ طبعا لا ... وانما المهم أن يضع المسرح العالمى فى اعتباره – بقدر الامكان – تقديم نماذج تساعد على تعميق المعرفة ؛ وتفسح مجال المناقشات الفنية ... فمثلا من واجبه طبع نشرات يشترك فى اعدادها المتخصصون لاعطاء فكرة عن كل رواية ... ومن واجبه اقامة ندوات لمناقشة كل رواية ... وهكذا

وبالنسبة لمسرح الحكيم ... المفروض أن هذا المسرح سيقدم تجارب نموذجية ؛ فكيف تختار هذه التجارب ؟ وماذا سيفعله المثقفون ؟ لقد عودونا أن يستقبلوا التجارب الجديدة بالطبل والزمر حينا ؛ وبالتهجم حينا آخر ؛ على أساس الصدقات و « الشلل » ؛ فهل سينتهى هذا الاسلوب العجيب؟ أرجو .

انى أرجو أن نحاول الانتقال الى مرحلة التقييم على أساس القواعد الفنية وعلى أساس واقعنا الفنى ... ومن واجب لجنة مسرح الحكيم أن تعلن عن مناهجها بالتفصيل ؛ لنناقشه .

والمسرح الكوميدى أيضا ... ما رأى المثقفين أيضا ؟ أولا مطلوب تحديد مفهومنا لمعنى الفن الكوميدى ... ان المعنى العلمى يوسع هذا المسرح حتى يشمل جميع ألوان الروايات التى يكون الصراع فيها مرتبطا بالمجتمع ؛ أى معظم الروايات الحديثة فى العالم كله ؛ ولكن التنظيم الجديد خصص شعبة للمسرح الحديث ؛ ومعنى ذلك أن المسرح الكوميدى سيختص بالروايات الضاحكة ؛ والواقع أن هذا التقسيم يفيدنا جدا اذا أمكن أن يرفع المسرح الكوميدى مستوى الروايات الضاحكة ؛ ويحاول المسرح الحديث تمهيد الطريق لخلق المؤلف المحلى ... كيف ؟ ان مسرحنا فعلا يعانى من سوء فهم فن الضحك ؛ كما يعانى فقرا شديدا فى التأليف ... واذن فأقل ما يقال فى هذا التقسيم انه يواجه احتياجاتنا مواجهة فى غاية الوعى .

الحقيقة أن هذا التخطيط المنهجى الذى يحدث لأول مرة فى تاريخنا الفنى هو بلا جدال ضرورة لرفع مستوى المسرح ووضع المسرح فى خدمة المجتمع ... ولا جدال أيضا فى أهمية دور المثقفين ؛ فهل سيرتفعون الى مستوى مسئوليتهم ؟!

عبد الفتاح البارودى

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

تحقيق التراث جهد ومسئولية

ان كثيرا من يتصدون لتحقيق تراثنا الفكرى يظنون أن المسالة من البساطة بحيث لاتحتاج الى شىء من العناء ؛ ولا الى جانب من الجهد ولا الى طاقة من الاحتمال .

ولهذا لم يكن عجيبا أن نرى سيلا من كتب التراث تخرجه المطابع بين الآونة والاخرى لتوهمنا بأنها محققة ، فاذا هى مجردة من كل مايمت الى مفهوم التحقيق بصلة .

هذا الخليط من كتب التراث الذى تقذف بهالمطابع الى عالم الوجود ، من الكثرة بمكان ؛ ويظهر أن العامل التجارى عامل أساسى فى اخراجه ، وليست هناك رسالة أدبية فى هذا العمل ، ولا أمانة علميـة فى المتصدين له ، والا لما رأينا الكتاب من كتب التراث يدعى انسان ما انه قام بتحقيقه ، ولم يخجل انيضع اسمه عليه شارحا ومحققا ؛ فاذا فتشت بين دفتى الكتاب لم تقع عيناك على أى أثر له ، ولا على أى جهد بذله ، وقد يتطوع أحيانا فيشرح كلمة لغوية ، أو يشير الى رقم آية قرآنية ، أو يترجم ترجمة خاطفة فى ثلاث كلمات فيتوهم انه قد حقق الكتاب .

الحق أن مهمة التحقيق ــ وان كانت فى حاجة الى ثقة المتصدى له فى علمه وقدرته ، والى أمانة تختلج فى ضميره ؛ والى ارتباطه بالمسئولية الادبية والعلمية والتاريخية فيما يقدم عليه من عمل ــ فهى فى حاجة ماسة الى حسن الاختيار للتراث الذى يليق بالحياة ، ويجعل اعناقنا تشرئب الى مزيد من العلم والمعرفة فيه . .

ان كثيرا من كتب تراثنا تسىء الى الفكر العربى والاسلامىّ وتنزل بمستواه الاصيل الى الحضيض . من هذه الكتب كتب مشوهة فى التصوف ، ماسخة للمفاهيم الاسلامية وقيمها العظيمة ، وكتب مسفة فى الادب العربى الزائف تمحو عن الادب العربى الاصيل اصالته ، وتهز مكانته بين الادب العالمى . وكتب مضطربة فى التاريخ، تشوه مجتمعاتنا العربية والاسلامية فى ماضيها ، وتعرضها للقدح والانتقاص فى حاضرها ومستقبلها .

والعجيب أن مثل هذه الكتب لها المكانة الاولى فى الاهتمام بها ، والعناية باخراجها ، ويقبل عليهاالسذج ومن هم على هامش الثقافة ، فتزاحم غيرها من الكتب الناضجة فى ثقافتها وافكارها .

واعجب من هذا ، أن من لهم القـدرة على تحقيق التراث ، والقدرة على اختيار الاصيل النافع منه قليلون عددا ومقلون انتاجا ، مع أن كتب التراث التى لم تحقق تفوق الحصر ، وان كان معظمها لازال بين جنبات مكتبات الغرب ؛ وهى لا تمثل جزءا فحسب من فكرنا العربى الاسلامى ؛ بل تمثل أيضا جزءا مهما من تاريخنا .

هذه مجرد خواطر عابرة ، وانا أضع بين يدى نموذجا طيبا لتحقيق تراثنا العربى يضطرك الى تقدير محققه ، ويحتم عليك احترامه ، ويقنعك بعد ذلك بأن تحقيق التراث ــ كما يجب أن يكون ــ مهمة لا يطمع فيها الا من أوتى حظا كبيرا من العلم والمعرفة، وطاقة كبرى من الصبر والاحتمال ، وضميرا حيا يقوى على حمل الأمانة الادبية ، وعزما قويا يحسب للمسئولية العلمية حسابها .

الكتاب هو الجزء الاول من (جمهرة نسب قريش واخبارهـا) للزبير بن بكار ، والمحقق هو الاستاذ محمود محمد شاكر ، الحق ان الاديب العالم المحقق ليس فى حاجة الى التعريف به ، ولا سيما فى مجال تحقيق التراث ، فرواد الثقافة الاسلامية والعربية يعرفون قدره ، ولا يترددون لحظة فى الايمان بأنه عالم مرجح ، وحجة ثقة .

لقد كتب الاستاذ محمود شاكر مقدمة لهذا الكتاب فى خمسين صفحة ، بلغت حد الروعة والدقة ، جاءت بمثابة روح بعثت الحياة فى جسد الكتاب ، وألقت عليه أضواءكاشفة تجتذب المثقف اليه، وتوليه العناية به كمرجع من أبرز المراجع فى موضوعه .

يقول المحقق فى أول مقدمته عن المؤلف :

« انه أبو عبد الله الزبير بن بكار ، أحد أساطين الرواية فى القرن الثالث الهجرى (١٧٢ هـ ــ ٢٥٦هـ) واحد الحفاظ المتقنين للاخبار ؛ أخبار العرب فى جاهليتها واسلامها ، ولا سيما اخبار أهل الحجاز ورواية الزبير كانت عمدة الناس فى زمانه وبعد زمانه، لما امتاز به من التقصى والجمع والاحاطة ، وقل ان يخلو كتاب قديم فى التاريخ والادب من رواية مستفيضة عن الزبير بن بكار) .

ويعقد الاستاذ محمود شاكر مقارنة بين كتابنا هذا وكتابين آخرين فى النسب : أحدهما « جمهرة انساب العرب) للامام ابن حزم (٣٨٤ـ٤٥٦هـ) وهو

اكبر كتاب فى النسب طبع الى عهدنا ، ولكن ابن حزم يسوق أنساب قبائل العرب ، وتفرع بعضها من بعض مجردة من أخبار الرجال والنساء الذين يذكرهم فى تفريع النسب ، فاقتصرت الفائدة منه على معرفة تسلسل النسب وتفرعه ، والكتاب الآخر (نسب قريش) للمصعب بن عبد الله عم الزبير بن بكار وشيخه وطريقته هى أن يسوق النسب تتخلله أخبار من ذكر من الرجال والنساء فى تفريع النسب ، ولكن على وجه الاختصار والايجاز .

اما كتابنا (جمهرة نسب قريش واخبارها) فالمؤلف يسوق النسب على نحو مافعل عمه المصعب فى كتابه (نسب قريش) ثم يتخلل النسب باخبار كثيرة للرجال والنساء ، اربت على أخبار عمه بثروة ظاهرة ، وهو لم يرد التكثر فى الاخبار ، بل جنح الى تخير اخبار دالة على عقول أصحابها ، ونفوسهم وشمائلهم ومنازلهم فى الناس بفضل هذه السمات الظاهرة فى أخلاقهم وهذه الزيادة لم تكن فى تفريع النسب وحده ، ولا فى الاخبار وحدها ، بل فى دلالة هذه الاخبار على أصحابها دلالة مبينة مميزة .

والاستاذ محمود شاكر يورد رواية عن الخطيب البغدادى فى كتابه (تاريخ بغداد) مؤداها ان الزبير ابن بكار لقى اسحق الموصلى فقال له اسحق : يا أبا عبد الله ، عملت كتابا سميته كتاب النسب ؛ وهو كتاب الاخبار ؛ قال الزبير : وانت ياأبا محمد ؛ أيدك الله ، عملت كتابا فى الاغانى ، وهو كتاب المعانى ..

ويستخلص الاستاذ شاكر من هذا الخبر على وجازة لفظ اسحق وغموضه ؛ ان كتاب الزبير فى النسب مباين لكل كتاب سبقه الى عهد الموصلى ،

ويقرر الاستاذ المحقق أن لكتاب الزبير فضيلة أخرى هى انه ساق لنا فى كتابه شعرا كثيرا جدا . لانكاد نجده فى غيره من كتب الاخبار والشعر ، وروى قصائد طوالا لشعراء نلتمسهم فى الذى طبع من كتب أسلافنا ، فلا نكاد نقف الا على ذكر أسمائهم ، أو ذكر البيت والبيتين من أشعارهم ، ولما كان تاريخ الشعر فى القرنين الاول والثانى للهجرة تاريخ معتم لقلة المصادر الاولى التى وصلتنا ، فقد اصبح هذا القدر العظيم من الشعر الذى رواه الزبير خليقا ان يضىء تاريخ هذه الفترة ، فنزداد علما بالحياة الادبية على وجه قريب من السلامة والدقة .

ثم يسوق الاستاذ شاكر فضيلة ثالثة لكتابنا الذى بين أيدينا ، يستخرجها النظر والتمحيص فيرى أن الزبير حيث تعمد تخير الاخبار المصورة لشخصيات من ذكرهم ، قد أمدنا بقدر وافر من الوثائق المعتمدة النافعة فى الاستدلال على الحياة الاجتماعية فى الجاهلية والاسلام ، تتيح لنا ان نميط الأذى وننفى الزيف ؛ مما دخله المتهجمون على تاريخ الحياة الاجتماعية بسوء بصرهم ؛ وباعتمادهم على سواقط الاخبار وشواذها ومفرداتها ، دون حقائقها ومجتمعاتها .

ويثير الاستاذ محمود شاكر سؤالا : متى ألف الزبير بن بكار كتابه ؟ قد يثير شبهة توهم بأنه ربما كان قد اجترأ قسطا على كتاب عمه ، وهو من شيوخه وعنه أخذ كثيرا من علمه ، وقد تعاصرا وتقاربت أيامهما ، فالمصعب ولد بالمدينة عام ١٥٦ هـ وتوفى ببغداد عام ٢٣٦ هـ ، والزبير ولد بالمدينة ايضا عام ١٧٢ هـ ، ومات بمكة عام ٢٥٦ هـ ، وان احمد بن سليمان الطوسى الذى روى نسخة الزبير يحدثنا أن الزبير ألف كتابه فى أخريات عمره ، وبعد وفاة عمه وهذا مما يسند تلك الشبهة .

ويحاول الاستاذ المحقق دحض هذه الشبهة بالتفريق اولا بين عمل الرجلين ، وبين طريقتيهما فى التأليف ، وبين مذهبيهما فى تحصيل العلم ، وبين غرضيهما فيما كتبا وألفا ، وهذا التفريق من شأنه أن ينفى الشبهة عن عالم جليل القدر ، ولكنه يأخذ فى استقصاء كثير من الاخبار ، وتمحيصها تمحيصا دقيقا ، ليخرج بعد ذلك بنتيجة تؤكد أن الزبير بن بكار لم يؤلف كتابه فى أخريات حياته وبعد وفاة عمه ؛ كما زعم الطوسى من قبل وانما وضعه على وجه التقريب قبل عام ٢٣٥ هـ وفى حياة عمه الذى قرأه كما قرأه اسحق الموصلى الذى توفى عام ٢٣٥ هـ وقد أشاد به كما سبق ذكره .

وبعد ـ فاذا كان هناك ما أود أن أقوله بعد ذلك؛ فهو ان الاستاذ محمود محمد شاكر قد أسدى الى المكتبة العربية خدمة من اجل الخدمات وقدم بتحقيقه الكتاب نموذجا طيبا فى تحقيق تراثنا ، أوفى على الغاية فى الدقة والتمحيص والاضطلاع بالمسئولية الادبية ، التى لايجيد كثير من المتصدين للتحقيق الاضطلاع بها .

وكل مانرجو أن يتوفر الاستاذ العالم المحقق على اخراج الجزاين الاخيرين من الكتاب ، حتى يتم الرسالة الادبية التى بدأها ، والتى هى جديرة بتقدير العلماء، ورواد الثقافة الاسلامية والعربية فى شتى بقاع العروبة والاسلام .

محمد عبد الله السمان

الكتب نقد وتعريف

يقدمه
تحسين عبد الحي

فلسطين
فى ماضيها العربى وحاضرها الصهيونى
تاليف : على محمد على ـ ابراهيم الحمصانى

اوضح المؤلفان فى الجزء الاول من الكتاب أصالة عروبة فلسطين ـ وذلك بشرح الحقائق التاريخيةالتى تؤكد ان ارض فلسطين قد عمرها العرب الذين جاءوا اليها من الجزيرة العربية على موجات متعاقبة بدأت الاول منها سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ٠٠ والثانية سنة ٢٥٠٠ ق٠م٠ والثالثة سنة ١٥٠٠ ق٠م٠

وكانت الهجرة الرابعة هجرة الاسباط العرب فى الفتح الاسلامى ، وكان للعرب فى فلسطين منزلة سامية ـ فى مراتب الدولة البيزنطية ـ وكان منهم الحارث بن جبلة عاهل فلسطين الذى ابلى بلاء حسنا فى قمع ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م ٠ ولم يزد عدد اليهود فى فلسطين حتى نوفمبر سنة ١٩١٧ ـ وهو تاريخ اعلان وعد بلفور على ٥٦٫٠٠٠ كانوا يمثلون اقلية ضئيلة بالنسبة لعدد السكان ـ كأى جالية اجنبيـــة فى اية دولة ٠٠ واسهب الجزء الاول من الكتاب فى شرح الحياة العامة فى فلسطين ـ قبل النكبة ـ معددا مظاهر استقرارها الاقتصادى ومصادره وحياة ابنائها العرب التى كانت تعتمد ـ على الرعى وصيد الاسماك والزراعة والصناعة والتجارة ـ ففى المراعى الواسعة فى فلسطين العربية كان العرب من قبائل ـ العبيدية والرشايدة .. فى لواء القدس وعرب الجهالين والطريق فى قضاء الجليل ـ وعرب الحجيزات والسيارجة والصبيح فى قضاء الناصرة وعرب المنارة والمواسى فى قضاء طبريا وعرب البلاونة والدمايرة والغوارنة فى قضاء حيفا وكذلك عرب غوريسان الذين يقول عنهم المسعودى انهم من لخم وجذام ـ كانت هذه القبائل العربية ـ وهى على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ تملأ بادية فلسطين العربية ٠٠ وتنشر فيها الحياة ٠

وأورد الكتاب كذلك احصائيات عن الثروة السمكية فى فلسطين العربية، كجزء من امكانياتها الاقتصادية فذكر أن عدد الصـيادين قد بلغ خـلال عام ١٩٤٥ ٣٣٥٧ مواطنا وبلغ عدد زوارقهم ٦٧٣ زورقا وقد اصطادوا ٤٠٤٠ طنا من مختلف انواع السمك قدرت قيمتها بـ ١١٢٥٩٦٠ جنيها فلسطينيـا ٠٠ أما فى الزراعـة ـ فكان عرب فلســطين يزرعون الحبوب والخضروات والعلف والفواكه عدا الحمضيـات والزيتون والبطيخ .. اما الحمضيات فقد بلغ المزروع منها فى عام ١٩٣٩: ٠٠٠ر٢٩٣ دونم صدرت فلسطين العربية من انتاجها ١٥١/٤ مليون صندوق ٠

❋❋❋

وفى المجال الصناعى : كانت تقوم صناعة المعادن والصباغة والنسيج والماكولات والصناعات الكيماوية والورق والطباعة والخزف والطوب وغيرها ٠٠ وخاصة صناعة الصابون فى نابلس ـ التى كانت تضم زهاء ثلاثين مصبغة قبل الحرب العالمية الثانية ـ والتى اشتهر صابونها باسمها وقد كانوا يصنعونه من زيت الزيتون الصافى الذى بلغ معدل انتاجه قبل الحرب الاخيرة حوالى سبعة آلاف طن سـنويا ؛ وقدرت معاصره بمائتى معصرة ٠

❋❋❋

وقد كانت التجارة العربية الفلسطينية مزدهرة فى الداخل عن طريق الاسواق الداخلية وفى الخارج لوقوعها على طرق التجارة فى العالم القديم بين آسيا وافريقية ، ثم ان تردد الحجاج على فلسطين للزيارة جعلهم يحملون معهم أموالا يتجرون بها ، ثم يعودون الى أوطانهم ؛ وقد استبدلوا بها أموالا أخرى والى جانب ذلك تقــدم التعليم فى فلســطين وازدهرت

الصحافة في كل من يافا ـ وحيفا ـ **وبيت المقدس ـ وغزة ـ والرملة ـ وكانت الحيـاة فى فلسطين العربية بمحتوياتهاالاقتصاديةوالسياسيةوالاجتماعية تسير وفقا للتقاليد والقيم والمثل العليا العربية ـ حتى كانت ـ النكبة ، واستيلاء الصهـاينة على الارض العربية بالخديعة والغدر ، ومساندة الاسـتعمار فتحولت فلسطين العربية ـبعد طرد أصحابهاالعرب ـ وتشريدهم الى مرتع لشذاذ الآفاق المغامرين الصهاينة الذين يكونون مجتمعا متنافرا متباعدا من مختلف القوميات والعناصر واللغات والثقافات وشرح المؤلفان فى الجزء الثانى** من الكتاب وضع فلسطين فىحاضرها الصهيونى الاليم ، وفساد الحكم فيها ، وديكتاتورية بن جوريون الذى يترأس **عصابة تحمل اسم حزب ـالماباى ـ** الذى يستغل اعضاؤه عضويتهم فيه فى استغلال الاقتصـاد وفرض أتاوات على الشركات ، واختلاس الاموال الطائلة لحسابهم الخاص . ويحكم حزب الماباى اسرائيل منذ زمن طويل ويسعى دائما للفوز فى الانتخابات عن طريق الارهاب ، منـذرا الاهالى بسوء المصـير .. اذا لم ينتخبوا مرشـحيه **ويعامل العرب المقيمين فى اسرائيل معاملة وحشية غير انسانية فتستولى وزارة الاسكان الاسرائيلية على اراضيهم دون أى اهتمام بسداد قيمة هذه الاراضى أو تقدير هذه القيمة من أجل سدادها فى المستقبل ويتحدث الكتاب ص ٨٠ عن الوضع الشاذ للعاملات العربيات فى اسرائيل اللواتى يتعرضن الىابشع انواع الاستغلال ، فهن يحصلن على أعمـالهن عن طريق سماسرة خصوصيين يتقاضون سمسرة عالية تصل الى نصف أجورهن . ويتعرضن دائما لسلب ما يتبقى لهن بالاضافة الى مغالطات ساعات العمل ولا تقل أوضاع العمال العرب ظلما وقسوة عما يلاقيه نساؤهم واصبحت الاختلاسات ، والتحلل الخلقى ، والدعارة الرسمية من السمات المميزة للمجتمع الاسرائيلى ..**

***

وكانت النتيجة الطبيعية لكثرة الاختـلاسات أن أصبح العجز فى الميزان التجارى لهذا العام فىاسرائيل ٤٠٢ مليون دولار ؛ ومن مظاهر التحلل الخلقى كذلك أن المجتمع الاسرائيلىاصبح ينقسم الى قسمين : القسم الاول وهم اليهود الشرقيون ويعيشون على السرقة والنهب وذلك لفقرهم . والقسم الثانى هم اليهود الغربيون ، ويعيشون على الاحتيال والاختـلاس والنصب والربا ، نتيجة لتوظيف أموالهم ، وتنتشر الجرائم حتى بين الاحداث لدرجة أن مجتمعا مثل هذا المجتمع الصغير بلغت فيه جرائم الاحداث : ٨٣ر٠٠٠ حدث من المجرمين الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ٩ و ١٣ عاما .

***

وتنتشر فى اسرائيل تجارة الرقيق الابيض وبيع الاطفال ويصل ثمن الطفل هناك الى ثلاث ليرات للطفل ويباعون فى السوق السوداء ويخضعون للمضاربات التجارية كأية سلعة رخيصة ، وتدير وزارة الخارجية فندقا للدعارة يسمى ـ فندق برلا ـ تستقبل فيه بنات الهوى ضيوف اسرائيل من بينهم أعضاء لجنة دولية كانت تبحث تقسيم فلسطين وغيرهم ومن هؤلاء رئيس وزارة دولة أجنبية . هذا بالاضافة الى الفساد والرشاوى الموجودة فى الجيش وقيـاداته وادارته المختلفة .

وهكذا دنس الصهاينة ارض فلسـطين العربية المقدسة .. الا من مخلص لها ؟

فى المعرفة التاريخية
تاليف أرنست كاسيرر
ترجمة احمد حمدى محمود

يحتوى على دراسة لبزوغ النزعة التاريخية عند هردر ـ الذى استطاع ادراك النجاح ادراكا جزئيا ـ فهو لم يتمكن من اكتشاف عالم التاريخ ولكنه كما يقول « جيته » قد استطاع أن يجعل هذا العـالم شيئا حيا . فقد نفخ فيه روحا جديدة ، كما وهبه حياة أخرى .. ويقول المؤلف أنه لا يمكن انكار دور الرومانتيكية فى جعـل التفكير التاريخى مثمرا الى درجة غير عادية ..

ويحتـوى الكتاب كذلك على فصـول عدة فى الوضعية ومثلهـا الخـاص بالمعرفة التاريخية .. والنظرية السياسية والدستورية كأسـاس للكتابة التـاريخية ـ ونظرية النمـاذج السيكولوجية فى التـاريخ ـ وتاثير تاريخ الدين على مثل المعرفة التاريخية .

ويقع فى ١٥١ صفحـة من القطع الكبير والناشر دار النهضة العربية .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبى

الأغنية الثورية .. والأغنية العاطفية

على الرغم مما حققته الأغنية الثورية من هز المشاعر والاحاسيس ، وايقاظ الوعى القومى فى النفوس ، فاننا نلمس منافسة الأغنية العاطفية لها ، تحاول أن تسبقها الى الآذان والقلوب ...

ولقد عشنا معارك كثيرة ، ومرت بنا احداث عنيفة ، اوحت الى مؤلفى الأغنية بمجموعة من الاغانى الثورية التى لاننكر اثرها فى تقوية الروح المعنوية فى الشعب ، فسمعناه يردد هذه الاهازيج الثورية فى كل مكان ، بل رددتها معنا شعوب شقيقة فى مناسبات وطنية شبيهة بالمناسبات التى مرت بنا .. فكان هذا نصرا للأغنية الثورية .. وتوارت الى حين الاغانى العاطفية ، التى اعتدنا سماعها وترديدها ، أوقات السلم ..

والذى أريد أن أقوله : ان الأغنية الثورية ينبغى الا تتوارى عن الاسماع ، وراء الأغنية العاطفية ، فلا نسمعها الا فى الظروف العصيبة والمحن ...

ولو اننا استطعنا — واعتقد اننا نستطيع — ان نجمع بين الأغنية الثورية والاغنية العاطفية ، ونمزجهما ، لضمنا لكل منهما البقاء فى كل مناسبة ، دون أن تطغى هذه على تلك ، أو تلك على هذه ، فكلتاهما متممة الأخرى .. وما « الوطنية » الا لون من « العاطفة » فى ابهى صورها ، واسمى معانيها ، لانها تسمو بالحب الى اعلى مراتبه ، وابعد آفاقه !..

فمتى نسمع الأغنية التى تحمل عباراتها أجمل معانى « الوطنية » ممزوجة باسمى مشاعر « العاطفة » ؟!..

عيسى متولى
وكيل مكتبة بنك مصر

***

دور المسجد فى التوعية

تعقيبا على مقال استاذنا الزيات فى العدد (١٠٣٠) من الرسالة الفيحاء عن (الاشتراكية كما يفهمها الفلاح) نضيف الى ماعقب به الاخ الاستاذ سمير ابراهيم فى البريد الادبى بالعدد (١٠٣٤) فنقول: ان دور المسجد فى التوعية الاشتراكية على الخصوص وفى كل توعية على العموم له اثره الفعال ودوره الجاد وغايته البعيدة المدى .

اذ ان المدرسة وان كان لها الدور العملى فى التطبيق فللمسجد الدور الفكرى والعملى معاه لأن التوعية فيه تمتزج بالعقيدة . وكل شىء يمتزج بالعقيدة لا مجال فيه للتخلخل الفكرى او الرجعية العقلية .

وللمسجد فى الريف الحق الأول والأخير فى فصل القضايا وعرض المناقشات وابداء الآراء ، فما من مشكلة تعترى القرية الا ولها نصيب من البحث بعد صلاة الجمعة او فى درس العصر . الا ان لنا ملاحظات على اساتذتنا الأئمة والوعاظ ودورهم فى مجال التوعية بشتى انواعها بين العقول العذراء فى ريفنا الحبيب .

من هذه الملاحظات مثلا . بعد « الامام » عن كل ما هو جديد وكأنه سبق جارف لايستطيع الصمود امامه لسبب واحد هو ماتسميه «بالاختزان العلمى» اذ ان الامام — وليس هذا هجوما بقدر ماهو انصاف للحق — يحسب انه بلغ من العلم الدرجة التى تشبع عندها فلا ينفعه كل جديد فما دام قد « اختزن » من العلم قدرا وفيرا فلا داعى للمزيد انهم اذا لمسوا هذه القضايا التى تفرض عليهم فرضا لمسوها لمس الذى يعرف ظاهر الشىء لبريقه ويخاف باطنه لعمقه فتبدو والصورة امام اللامثقفين وانصاف المثقفين مهزوزة مختلطة وكنا نحسبهم وهم فى طليعة الركب الثورى يحملون المشعل ومع الفئة المثقفة يفسحون الطريق يعطون هذه البرامج من التوعية القدر الكافى والاهتمام الشاق فينشرون النور الجديد فى العقول . ويبثون الوعى السليم فى النفوس .

محمد جاد البنا
كلية الدراسات العربية

رجاء

ان لقراء الرسالة رجاء فى ان تعنى الرسالة بموضوع ليس بجديد عليها بل يعتبر الركن الاول فى صرحها المشيد انه هو موضوع — اللغويات — حتى يسير الادب مع اللغة جنبا الى جنب فى طريق واحد .. نأمل ان تحقق الرسالة هذا الرجاء ..

أ — ح — أ
كلية الدراسات العربية

بناء الرجال

يعتقد البعض ان السن اذا تقدمت بهم قليلا فانه لا يجوز لهم ان يتعلموا شيئا . وانها لفكرة خاطئة وقد كتب الدكتور (ثورندايك) عالم النفس في هذا الموضوع فقال : ليس هناك سبب معقول يمنع الرجل في سن الاربعين من ان يتعلم ما يتعلمه الشباب في سن العشرين .. اللهم الا تلك الفكرة الفاسدة من ان المرء لا يستطيع ان يتعلم كما يجب بعد سن العشرين . ومما يؤسف له ان هذه الاوهام تتسلط على السواد الأعظم من الناس فيقفون بعد سن معلوم بين حواجز سميكة جدا . ولا يتقدموا الى الامام خطوة واحدة . ولا يحاولون ان يتعلموا شيئا جديدا مهما كانت حاجتهم الى هذا الجديد شديدة — الى هذه الاوهام يعزى جمود الكثيرين بعد سن معلوم عن طرق باب جديد من ابواب الحياة ..

ولقد قام علماء النفس والطبيعة والطب وغيرهم .. بتجارب عديدة اظهروا لنا فساد طائفة من الآراء التى كانت سائدة ولا تزال كذلك فى عقول البشر وهى بمثابة قيود فى ايدينا فاذا تخلصنا منها وجدنا مجال الحرية امامنا فسيحا . فان التجارب العديدة اثبتت ان فى استطاعة الكبير ان يتعلم اكثر من الصغير . وان معظم الشبان بعد مغادرة المدارس حينما يختمون حياة الدروس والبحوث يقولون انهم (انموا دراستهم .!!) وهذا تعبير خاطىء . واكرر القول ان من السهل ان نتعلم صناعة جديدة فى سن الخمسين . كما يسهل تعليمنا اياها فى سن الخامسة عشرة فليس للسن سبب فى جمودنا . بل ان سبب ذلك كله كسل ، واهمال وعدم مبالاة . وفى بعض الاحيان ادعاء كاذب .. وهذا ماقاله الدكتور ثورندايك ، وهكذا فان علم النفس الجديث يؤيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم . (اطلب العلم من المهد الى اللحد) . وما اجمل كلمة السيد الرئيس ان بناء المدارس سهل . وبناء المصانع سهل . وبناء السد العالى سهل . والمهمة الصعبة هى بناء الرجال — فهذه هى رسالتنا . ان نبنى انفسنا بالمعرفة ، ان نبنى انفسنا بالعلم حتى يتم بناء مجتمعنا الجديد على اساس من الفهم والمعرفة الحقيقية لطالبنا وواجباتنا ، وحقوقنا .

ميت غمر — محمد عبد الرحمن السجرتى

على هامش الشعر

على الرغم مما قررته « نازك الملائكة » شاعرة العراق فى كتابها « قضايا الشعر المعاصر » من ان انطلاقة الشعر الجديد كانت بدايتها ببغداد ، واحدى قصائد الشاعرة الكبيرة . الا ان هذا القول — على غاوه — لا يمنعنا ان نذكر بعض فضل الريادة للاديب المسرحى الشاعر . على احمد باكثير . ولكن الشاعر العربى هجر الشعر . واصبح لا يقوله . الا فى بعض المناسبات العارضة ومن ذلك مانشرته « الرسالة » الزاهرة فى العدد ١٠٣٢ « محرم شاعر الاسلام » القصيدة التى شارك بها الشاعر فى مهرجان احمد محرم بدمنهور .. ويبدو ان هجر شاعرنا للقصيد . وبعده عن التحليق فى وادى عبقر . دفعه الى مجرد نظم ابيات . دون ان يكون وراء هذا روية شاعر ، والا فهل من المقبول ان يقول .

جئنا اليها وفى ابصارنا ظمأ

الى اجتلاء السنا من تلكم الدور

فى ابصارنا ظما ؟! حتى شعراء المهجر وقد ترخصوا فى غرائب التشبيهات . وسبحوا فى هذا الى مدى بعيد . لم نقرا لهم مثل هذا .. وقوله ايضا .

قد صاغها من صميم الحق ملحمة

ان صيغ من باطل الباذهومير

لوقيل هذا البيت من شاعر غير باكثير فى ذكرى شاعر غير محرم . كان محتملا او مقبولا . فعشاق محرم اطلقوا على مطولته بزهو واعجاب . الباذة الاسلام . وباكثير الأديب المسرحى الذى عرف الاساطير وعرف هوميروس وجلال الباذته . كان حريا به ان يقول غير هذا .

محمد الشاذلى
شركة شاهر — القاهرة

● الرسالة :

بناء على رغبات كثير من القراء فى اقتناء سنوات الرسالة الماضية تفيد انها تطلب من الادارة ٢٧ شارع عبد الخالق ثروت وثمن كل سنة مجلدة جنيهان مصريان

أخبار علمية وأدبية

● تقيم مصلحة الاستعلامات مسابقة موضوعها (دراسة الميثاق) تبدأ في القاهرة في اول ديسمبر القادم ، ثم تنتقل الى المحافظات ، يشترك في هذه المسابقة الذين يقل سنهم عن ستة عشر عاما ، وسيمنح كل من العشرة الأوائل من الفائزين عشرين جنيها مصريا .

● اخيرا نجح العلماء الروس في صنع نموذج لخلية مخ الانسان ، يستطيع حل المسائل الحسابية والقيام بعمليات الرياضة ، هذا النموذج يبدو في شكل طبق صغير في حجم راديو (ترانزستور) وبه جهاز الكترونى يستطيع تمييز الاشارات ، وهو يشبه الخلية العصبية الحقيقية .

● من الانتاج الأدبي السوداني . اصدرت مكتبة الكاملابي بالقاهرة للاديب الصاغ محمود ابو بكر الجزء الاول من ديوانه (اكواب بابل من السنة البلابل) وهو مجموعة من القصائد التي تعبر عما مر بالشاعر من تجارب في حياته ، لا سيما في الحرب العالمية الثانية حيث اشترك في بعض معاركها .

كما صدر للاديب السوداني الاستاذ محمد عثمان على صبار قصته (سر الدموع) التى نالت الجائزة الأولى لهواة القصة ، وقدم لها الاستاذ السباعى .

● يصدر العدد القادم من المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومى ، عن الفنون والقومية العربية ، للاستاذ محمد صدقى الجباخنجى ، كما يصدر العدد القادم من اعلام العرب التى تصدرها وزارة الثقافة ايضا عن عبد العزيز البشرى للدكتور جمال الدين الرمادى .

● اجرى عدد من الخبراء البلجيك تجربة اثبتوا فيها ان مادة الكلورين التى تضاف الى الماء لتنقيته تخفف تاثير الاشعاع على الجسم ، كانوا يدرسون تاثير الجرعات الكبيرة من الاشعاع على الفئران ، فكانت احداها تقتلها فى اسبوع .

وعندما اضافوا كمية من الكلورين الى ماء الشرب تنلت الجرعة ٨٠ ٪ من الفئران فى فترة زادت على ثلاثين يوما ، مما يدل على ان اجسامها اكتسبت مناعة ضد الاشعاع .

● ستصدر قريبا موسوعة للقارة الافريقية فى عشرة اجزاء ، تتناول النواحى الاجتماعية والتاريخية والعلمية والطبية ، والتربية والتعليم فى القارة الافريقية .

السكرتير العام لهذه الموسوعة التى مقرها اكرا عاصمة غانا هو العالم الامريكى الدكتور وليام هنتون .

● تعقد الجمعية الادبية (٣ ش قولة — عابدين) ندوة شعر فى مساء الثلاثاء القادم ، يشترك فيها الدكاترة والاساتذة : عز الدين اسماعيل ، صلاح عبد الصبور ، احمد كمال زكى ، محمد محمود عماد ، محمد الجيار ، شريفه فتحى ، احمد عبد المعطى حجازى ، محمد قطب ، انس داود .

يقدم الندوة الاستاذ عبد العزيز الدالى ، ويعقب عليها الدكتور عبد القادر القط .

● استخدمت اشعاعات الضوء فى قتل الخلايا السرطانية ، وعرضت نتائج التجارب على جمعية الجراحين الامريكيين فى اجتماعها الاخير . وقد استخدم فى هذه التجارب حزم ضوء قوية تصدر من الاداة المعروفة باسم « ليزر » وهى تصدر حزمها رفيعة كالخيط .

واجريت التجارب على مجموعة من الفئران المصابة بهذه الاورام الخبيثة فوجهت اشعاعات الضوء الى المناطق المصابة التى ظهر فى وسطها بقعة صغيرة محروقة . وبعد ايام بدات الاورام تنكمش ثم زالت تماما فى بعض الفئران .

● ظهر الجزء الرابع من (الاعلام الشرقية) فى المائة الرابعة عشرة الهجرية من وضع الاستاذ زكى محمد مجاهد ، ويحتوى هذا الجزء على قسمين احدهما خاص بالادباء ، والآخر بالمؤرخين والرحالة .

يمتاز هذا الكتاب عن غيره بعرض نماذج للانتاج الفكرى لمن يترجم لهم من الاعلام . . .

قصــة العــدد

الميزانيــة

بقلم : صبحى الجيار

ما كاد بهجت افندى يدخل مسكنه محملا بمرتبه الشهرى ، حتى فوجىء بطرقات الدائنين المتوالية على باب بيته . وبعد ان تبخرت ثلاثة ارباع المرتب بين صاحب البيت والجزار والبقال .. جلس الى المائدة الخاوية فى وسط الصالة يحصي ما تبقى فى محفظته الهزيلة وهو يدمدم بالفاظ ساخطة يائسة .

واقبلت زوجته هائشة تترنم باحدى الاغنيات المرحة ، وهى تخطو الى المائدة بخطوات راقصة وعلى كفيها اطباق الطعام ، ثم مالت على زوجها ، وهمست فى دلال ..

ــ عملالك صينية مكرونة بالفرن تاكل صوابعك وراها .

فاشاح بوجهه العابس وتمتم فى ضجر :

ــ والله يا بطة مالى نفس آكل حاجة .. الواحد قرف من العيشة دى . فمسحت يديها فى الفوطة المدلاة على صدرها ، وجذبت وجهه نحوها وهتفت بعتاب رقيق ..

ــ هو انت كل اول شهر تعكر دمك كده ... يا سيدى خليها على الله .. احنا برضه عايشين احسن من غيرنا ...

فازاح الطبق الذى امامه وقال ساخطا :

ــ هى دى عيشة يا شيخة .. ؟

ــ مّالها .. رضا والحمد لله ...

واعادت الطبق امامه قائلة فى توسل :

ــ طيب كل دلوقت عشــان خاطرى ، وبعدين توضب الميزانية سوا . فاغتصب ضحكة منتعلة ، ومد أصابعه الى الطعام . ثم تراجع متسائلا وقد تذكر شيئا ..

ــ امال فين الاولاد . ؟ .. لسه ما رجعوش من المدرسة ؟ ...

ــ النهاردة عندهم حصة اضافية .. كل انت ، وانا آكل معاهم لما يرجعوا .

وبدا يفسح مكانا على المائدة ، ويرص الميزانية فوقها فى اكوام هزيلة . وامسك قلما وراح يرصد الطلبات الضرورية لهذا الشهر . ولكن ما تبقى من المرتب انكمش متخاذلا امام القائمة الطويلة .

وتتنهد الزوجة فى يأس ، ثم تهمس متطوعة :

ــ بلاش القميص الكستور بتاعى ، وابقى البس بفستان قديم .

فينفعل الزوج فى نخوة حماسية معارضا تضحيتها ولكنه اخيرا يرضخ امام اصرارها الصادق ، ويندفع مصرحا بانه سيستغنى عن شراء الجورب الجديد هذا الشهر ، ويكتفى بما عنده من جوارب عتيقة بعد ان تمر بتقويمها انامل زوجته الماهرة . ثم خيل له ان تضحيته تتضاءل امام قناعتها ، فاقترح ان يضغط مصاريف المواصلات الى النصف ، وعقب ضاحكا حتى يقنع قلب زوجته :

ــ اهو المشي مفيد .. ولما اصحى بدرى ساعة كل يوم الحق اوصل المصنع فى ميعادى ...

وعلى الرغم من هذه المحذوفات جميعا ظلت خانة المصروفات تزيد بضعة جنيهات فوق خانة الرصيد .

ــ طبعا جزم الاولاد مش ممكن تاجيلها ... ؟

فاسرعت الام تقاطعه :

ــ مش معقول ..ده محمود سيا كبدى ــ صوابعه طالعة من الجزمة .. يمكن سميرة جزمتها تستحمل للشهر الجاى ...

فاسرع يعترض فى ضجر :

ــ لا لا .. احسن تزعل وتقول اشمعنى اخويا .

وهز راسه فى عنف كانما ليستحثها على التفكير ، ثم خبط المائدة بقبضته ، وقام صارخا فى حنق :

ــ بقى ده وضع يرضي ربنا . ؟ احنــا نعيش بقروش وصاحب المصنع يكنز الالوف .

وعندما وضع راسه على الوسادة ، لم يغمض جفناه . وراح يتقلب فى قلق كانه ينام على مسامير مسننة . وتراءت لخياله احداث حياته الجافة القاحلة ، وصراعه المرير مع لقمة العيش التى لا

تصـــل الى فمه وافواه عياله وزوجته الا بعد جهـــد عسير .

هكذا كان دائما ، رزقه ضيق ، واحلامه الوردية تتحطم تباعا على صخرة النحس الســـوداء ، حتى استسلم اخيرا لمصيره ، وآمن بانه سيظل خائضا فى خضم الحياة ، حتى يجذبه الموت يوما الى القاع .

وتترامى الى راســـه المؤرقة اصوات السيارات وانغام ابواقها تنساب فى الحان راقصة تعزفها أنامل المترفين . الغائصـــين فى مقاعدها الوثيرة . بينما امثاله يتسللون على الأرصفة متمسحين بالحوائط ، حتى يفســـحوا الطريق العريض لتلك العربات الفارهة ، متحاشين الوقوع تحت عجلاتها .

وقطعت تفكيره اصوات اطفاله العائدين فى جلبة ومرح . واوشـــك ان يناديهم ليقبلهم ويضــمهم الى صدره ، ولكنه عدل عن رايه ، وتظاهر بالنعاس حتى يتفادى اســـئلتهم المحرجة عن الاحذية الجـــديدة ، ويتجنب مكر ابنه الشقى الذى يتعمد أن يستعرض امامه اكمام البلوفر التى تاكلت عند الكوعين ، وهو يرجو من امه أن تعيد نسجه على ابرة التريكو ...

وضغط راسه بين الوســـائد حتى يخمد افكاره الثائرة ، وهدات نفســـه قليلا للظلام الدامس الذى يحيط براسه .. وبدات تبرز من يأسه آمال وضيئة ، وان كانت تبدو ســـاذجة بعيدة الاحتمال .. راى خلالها اولاده وقد اجتازوا عتبة الجامعة ، ثم احتلوا وظائفمحترمة تؤهلهم لحياة رغدسعيدة . وشردت به الخيالات المتفائلة ، فراى نفسه يغوص فى عربة فارهة تتهادى على كورنيش النيل وبجواره زوجته الحبيبة ، وامامهما فى مقعد القيادة ابنه الاكبر متدثرا فى سترة انيقة فخمة ، وبجانبه احفاده الصـــغار يتطاولون بقاماتهم القصـــيرة ليتطلعوا الى الطريق من خلال الزجاج الامامى المتعر .

وفجاة تبرز منمنعطف جانبىدراجة مسرعة يركبها مراهق ارعن . فتنحرف السيارة فى عنف متفادية قتل الصبى ، ولكنها تصطدم بشجرة ضخمة فى دوى هائل . وتنطلق منه صرخة ثاقبة عندما يرى ولده الشاب يميل براســـه فوق عجلة القيادة التى نفذت فى ضلوعه .

احس بهجت بيد توقظه من كابوســـه المزعج ، فاخرج راسه منبين الوسائد وانفاسه تتلاحق وقلبه ينتفضبالفزع . واصدمت عيناه بضوء النهار ، فراح يرمش فى فزع ، وهو لا يصـــدق نظرات الاشفاق المجسمة فى عين زوجته ، واخذ يهز راسه ليطرد عنها آثار المنظر الرهيب . وجاءه صوت زوجته فى نبرات واجفة .

مالك يا بهجت انت كنت بتحلم ؟

ــ يا ساتر يارب .. ده حلم فظيع ..

وحملق فيها وهو يحك راسه فى ذهول :

ــ اللهم اجعله خير .

ثم انتفض واقفا كأنه يهرب من ميدان الحادث ، فكاد يتعثر فى شظايا « القلة » الفخار التى ايقظه انفجارها عندما سقطت من قبضة ابنه . وبدأ يفطن الى اولاده من حوله فادرك ان احدهم ليس موجودا بينهم . فتسائل دهشا :

ــ فين محمود يا ولاد ؟

فتطوعت الأم بالاجابة .

ــ رجع يا كبدى مفرهد وجسمه دافى حبتين .. ونام من غير اكل .

ــ ازاى ده ؟ وليه ما صحتنيش ؟

ثم اندفع الى حجرة الاولاد ، وراح يتحسس جبين الطفل فى حنان . وتطلع الى الأم فى ذعر قائلا :

ــ ده الواد زى النار...لازم اجيب له دكتور .

ــ يمكن شوية برد ويروحوا..على ايه مصاريف الدكاتره ...

لا لا ... احسن تكون الله لا يقـــدر حاجـــة وحشة ... والحلم يتفسر .

اللهم اجعله خير ...

واسرع يلبس سترتهفوق الجلبابيلهوجة ، وصاح فيها بحزم :

ــ هاتى جنيه من معاكى عشان الدكتور والدوا .

ــ يا راجل صـــبرك بالله ... يمكن الاسبرينة تهبط الحرارة .

ــ باستى بلاش مجازفة لحسن الواد يضيع من ايدينا .

فاتجهت نحو الدولاب متباطئة حتى تتيح لنفسها فرصة لمناقشته ..

— يعنى من شويةكنت عايل الهم عشان الفلوس مخسعة .. ؟

— فلوس ايه وهبـاب ايه ؟ .. القرش بييجى وبروح .. لكن الواد لو راح مننا مش حنعوضه . ده فداه أموال الدنيا بحالها .

وكأنما اقتنعت الام بمنطقة الحنـون ، فاسرعت تناوله الورقة المالية الخضراء . ثم مالت على طفلها تتلمس جبينه الملتهب فى رحمة واشفاق .

وذابت كسوة الأولاد واحذيتهم فى بضع زجاجات من الدواء انقذت حياة محمود من مرضه ومضاعفاته . ولكنه عاد بعد شفائه الى حذائه القديم ، بعد ان اضيفت الى نعله رقعة تحمى قدم الصغير من برودة الشوارع المبتلة بامطار الشتاء. اما سميرة فقد هانت مشكلتها بعد أن توارت ثغرات ثوبها القديم خلف « مريلة » المدرسة .

وانقضى الشتاء ، بعد أن ترك عائلة بهجت مثقلة بالديون . وجاء الربيع . ووقف بهجت افندى صراف شركة النقل يقلب بين يديه — فى ذهول — حزمة من الأوراق المالية الخضراء والحمراء ، وهو لا يكاد يصدق انه يملك هذه الثروة الكبيرة التى تربو على الأربعين جنيها .. هى نصيبه من ارباح الشركة المؤممة .

رفعت الأطباق الفارغة من فوق المائدة ، بعد ان استقرت محتوياتها الدسمة فى بطون بهجت افندى وعائلته ، وراح يرص منحة الثورة امامه فى اكوام متعددة .

ولاول مرة يرتفع الرقم فى خانة الايراد عن خانة المصروفات والديون فى ميزانية بهجت افنـدى ، فتضحك زوجته فى رضا ، وتهتف فى سعادة :

مش قلت لك يا بهجت أن ربنا حيفرجها ؟

ثم القت نظرة الى كومة المبلغ الفائض ، وهتفت بحماس ومرح :

— اكتب عندك فى خانة المصروفات..بدلة جديدة لبهجت افندى ..

فتطلع اليها زوجها فى حب ، وقال فى قناعة :

— مش ضرورى البدلة دلوقت .. داحنا داخلين على الصيف .. كفاية بنطلون وقميص.. المهم الاولاد اولا .. مش لازمهم حاجة تانية ؟

فهتف محمود الصغير فى أمل :

— عاوزين راديو والنبى يا بابا ..

فاسرعت الأم تدق صدرها قائلة :

— يوه .. آدى اللى كان ناقص .. انتم عاوزين تصفرتوا القرشين ؟ .. مش لازم نحوش حاجة على جنب للزمن ؟ ..

واحتضن اثنين من ابنائه بكلتـا ذراعيه ، وقال مفسرا فى حماس :

— النظام الاشتراكى يا أولاد بيضمن لكل مواطن رزقه .. وانا دلوقت اصـبح لى نصيب فى ارباح الشركة . وكل ما اجتهد انا وزملائى تزيد ارباحنا.. احنا النهاردة بقينا اصحاب البـلد .. وخيرها يعم علينا .. كل واحد حسب مجهوده .

وتصيح سميره فى فرح :

— يعنى حتشترى لنا الراديو يا بابا ؟ ..

فتطلع بهجت افندى الى زوجته مبتسـما ، كأنه يسألها رأيها ، فقرا التردد فى عينيها . والتفت الى ابنائه ، فراى اللهفة تتأرجح على ملامحهم فى قلق . وراح يخط بضعة ارقام على الورقة امامه ثم قال :

— الفلوس الباقية تكفى راديو صغير..ايه رايك يا بطة .. ؟

— أمرك يا بو محمود ..

وانفجر الاولادمهللين فىمرح ، واندفعوا يعانقون اباهم فى سعادة غامرة ، ثم عاد بهجتافندى يمسك بالقلم مفكرا ، وقال بحرارة :

— لكن احنا ناسيين حاجة مهمة خالص ..

فتساءلت الزوجة فى دهشة وقلق :

— ايه تانى .. ؟

وراح يكتب ضاغطا على سن القلم فى اصرار :

— « فستان جديد للست بطة .. »

وما كادت تقرأ الجملة الأخيرة منفوق كتفه ، حتى طوقته بذراعيها البضتين ، وهتفت فى انوثة ودلال :

— ربنا ما يحرمنيش منك يا سبعى ...

صبحى الجيار



الدار القومية للطباعة والنشر